مغامرات

أرسين لوبين

السر في العين

الفصل الأول

عقوبة الاعدام

قالت « كلاريس» وعلى وجهها دلائل التفكير :

– ربما كنت أجد الشجاعة على طرد ولدى جلبرت لو أننى وجدته كما وصف نفسه ، قاسيا ، عربيدا ، ساقطا ، ولكنى لم أر على وجهه دلائل هذه القبائح . فأدركت أنه أصبح رجلا غير الرجل .. إنك ساعدته ورفعت من خلقه ، وقد لاحظت عليه تحسنا فى مظهره .. لاحظت أن بقية من الصلاح الكامن فى أعماق نفسه تحاول أن تطفو وتظهر ، كان فى ذلك اليوم مرحا سعيداً لايبالى شيئا ، وكان يكلمنى عنك وعما يكنه لك من محبة وتقدير .

وقد قابلته بعد ذلك مرارا . كان يحضر خلسة لزيارتى ، أو كنت أذهب لمقابلته وكنا نتنزه فى الريف ، وهكذا وجدتنى مسوقة إلى أن أقص عليه كل قصتنا ، فسردت عليه كل شيء ، فجزع أولا ، ثم ثارت ثائرته واصر بدوره على أن ينتقم لأبيه بأن يسرق السدادة البللورية وأن ينتقم لنفسه مما أصابه على يد دوبريك ، وكان أول همه بعد ذلك أن يتفق معك .

– ولكن كان يجب أن يصارحنى بأن ..

– ثم انى أشاطرك رأيك هذا . بيد أن جلبرت كان لسوء الحظ

ضيقا وكان خاضعا لتأثير أحد زملائه .

– تعنين فوشيرى ؟

– نعم .. فوشيرى .. ذلك اللئيم المنافق ، الذى يعيش فى الظلام لقد استطاع أن يسيطر على ولدى ، ولقد أخطأ جلبرت فيما أولاه من ثقة وقد أفلح فوشيرى فى إقناعه ، واقناعى كذلك بأنه يحسن بنا أن نعمل لحسابنا الخاص فدرس المسألة وأخذ على عاتقه تنفيذها ، وأخيرا أنفذ بإرشادك حملة السطو على فيلا مارى تيريز التى لم يتمكن براسفيل وأعوانه من الامعان فى تفتيشها بسبب مراقبة الخادم ليونارد الشديدة وكان يجب على جلبرت إما أن يستسلم لخبرتك وإما أن يدعك بعيدا عن المؤامرة تفاديا من وقوع سوء تفاهم وخيم العاقبة ، ولكن فوشيرى كان متسلطا علينا ، فقبلت الذهاب مع دوبريك إلى المسرح ، وفى هذه الاثناء سطوتم على الفيلا . ولما عدت إلى منزلى حول منتصف الليل أبلغت نبأ مصرع ليونارد والقبض على ولدى ، عندئذ تراءى لى المستقبل المظلم ، وتمثلت لى نبوءة دوبريك محققة ، فها هو ولدى يوشك أن يحكم عليه بالاعدام ويشنق .. وأنا التى دفعت به إلى الهاوية .. أنا أمه :

– سوف ننقذه ، فاطمئنى . لكن يجب ان اعرف جميع التفاصيل فانبئينى كيف علمت فى ذات الليلة بحوادث « انجين » ؟

– علمت بأمرها من اثنين من اعوانك او بالأحرى من اعوان فوشيرى وكان قد اختارهما لقيادة الزورقين .

- تمنين جرونيار ولوبالو اللذين ينتظرانك الآن خارج هذا المنزل ؟

- نعم ، وقد اهتم فوشيرى بمعرفة الأماكن التى تختلف اليها ، وعرف بهذه الطريقة جميع البيوت التى تقيم بها .

- قبحه الله .

- وقد تأهب للصراع الذى لابد سينشب بينه وبينك فى احد الأيام فنزع المربعات عن ابواب منزلك ، وفعل بمنزل دوبريك مثل ذلك وكان يستخدم رجلا من الأقزام شديد النحافة تكفى تلك الفتحات الصغيرة لمروره .

وقد خطر لى فى الحال ، لكى انقذ ولدى الأكبر ، ان استخدم شقيقه الأصغر جاك ، وهو كما ترى نحيف وعلى جانب عظيم من الذكاء والشجاعة . فذهبنا ليلا على ضوء ارشادات جرونيار ولوبالو ، ووجدنا فى منزل جلبرت الخاص مفتاح شقتك بشارع ماتنيون ، وكنت وقتئذ اقل استعداداً لأن اطلب منك المعونة من ان اسلبك السدادة البلورية التى كنت ارجح انها عندك . ولم اكن مخطئة فى ظنى إذ تمكن ولدى جاك من دخول غرفتك ، وبعد دقائق احضر إلى السدادة ، فذهبت انتفض من الفرح والأمل لشعورى باننى قد اصبحت بدورى صاحبة الطلسم ، وقررت ان احتفظ به لنفسى دون ان انبىء براسفيل لأكون وحدى صاحبة السلطان على دوبريك ، فأتمكن من تسخيره لانقاذ ولدى ، ولكن لسوء الحظ لم يكن فى هذه القطعة البلورية شىء ، فلا

ورقة ، ولا قائمة ، ولا تجويف . كانت مغامرة انجين إذن عديمة الجدوى لم نفد منها غير قتل ليونارد ! . والقبض على ولدى ! . . وهكذا ذهبت جميع جهودى أدراج الرياح — لكن لماذا . لماذا .؟!

- لماذا ؟ لأن السدادة التى سرقتموها فى حادث السطو لم تكن تلك التى صنعت بمحلات جون هوارد ، بل كانت هى السدادة التى أرسلها دوبريك إلى هذه المحلات لتكون انموذجا لحجم السدادة التى طلب صنعها .

- إذا كان ذلك كذلك فلماذا اهتممت باعادة الأنموذج إلى دوبريك . ؟

- لم أشأ أن يشعر دوبريك بان هناك من يعلم سر السدادة ويحاول الاستيلاء عليها .

ولذلك جعلت ولدى الصغير جاك ينشلها من جيب معطفك، وأعدتها إلى مكانها .

- إذن فهو لايشتبه فى شىء ؟ . .

- كلا . انه يعلم أن الجميع يبحثون عن القائمة لكنه يجهل أننى وبراسفيل نعرف المخبأ الذى يضعها فيه .

وهنا أخذ لوبين يسير فى الغرفة مفكراً . ثم اقترب من كلاريس مرجى . وقال لها :

- إذن لم تتقدمى خطوة واحدة منذ حادث انجين ؟ .

- كلا لم نتقدم خطوة واحدة . لأننا كنا نسير على غير هدى .

- أو على الأصح كان غرضكم الأوحد هو انتزاع قائمة السبعة والعشرين من دوبريك .

- نعم ، ولـكن كيف ؟ . وفضلا عن ذلك فإن أعمالك كانت تضايقنى ، سيما بعد أن علمنا أن طاهية دوبريك الجديدة هى خادمتك العجوز فيكتوار ، وبعد أن أكدت لنا حارسة الباب أن هذه الطاهية تاويك عندها .

- هل أنت التى كتبت إلى تطلبين أن أنسحب من الميدان ؟

- نعم ..

- وأنت التى طلبت إلى ألا أذهب إلى مسرح « الفودفيل » ؟

- نعم . كانت حارسة الباب قد باغتت فيكتوار وهى تنصت إلى حديث تليفونى بينى وبين دوبريك ..

ورآك « لوبالو » الذى كان يراقب المنزل .. رآك ، وأنت تنصرف فاعتقدت أنك ستقتفى أثر دوبريك فى تلك الليلة ..

- والعاملة التى جاءت هنا بعد ظهر أحد الأيام :

- هى أنا .. وقد أردت مقابلتك ، ولـكنى يئست فرحلت .

- هل أنت التى سرقت خطاب « جلبرت » ؟

- نعم ، لأنى عرفت خطه على غلاف الخطاب .

- أولم يكن معك « جاك » الصغير ؟

- نعم ، كان ينتظرنى فى الخارج مع « لوبالو » فى السيارة وقد اصعدته من نافذة الصالون ودخل هذه الغرفة من فتحة الباب المربعة

- وماذا كان مضمون الخطاب ؟

- كان « جلبرت » يؤنبك فى هذا الخطاب ويتهمك باغفال امره وبانك تستغل القضية لحسابك ، فايد هذا سوء ظنى فيك فهربت قبل قدومك .

فهز لوبين كتفيه ساخطا وقال :

- كم اضعنا من الوقت ؟ من المحزن اننا لم نستطع ان نتفاهم قبل الآن كان كل منا ينصب الشراك للآخر ، والأيام تمر ، تمر سراعا .

ولـكن اتظنين انه لم يعد ثمة امل ..

فتمتمت قائلة :

- بل هناك وسيلة ، وسيلة واحدة ..

ولاحظ اصفرار وجهها قبل ان تتمكن من اخفاء وجهها بين يديها : وادرك سبب امتقاعها فقال لها فى رفق :

- اتوسل اليك ان تجيبينى بلا مواربة ، هل عرف دوبريك ان جلبرت هو ولدك ؟

- نعم ، نعم .

- وهل ساومك ، وعرض عليك ان تبيعينه نفسك مقابل سعيه لانقاذ ولدك . الم يكن ذلك هو موضوع الحديث الذى دار بينكما فى غرفة المكتب ليلة حاولت الفتك به ؟

- نعم .. نعم ..

- وقد اشترط عليك مقابل نجاة ولدك شرطا واحدا . أليس كذلك ؟

سرطا واحدا ، مهينا ، مزريا .

فلم تجب (كلاريس) فقد كانت منهوكة القوى من جراء صراعها الطويل ضد عدو يزداد نفوذه يوماً بعد يوم .

ورأى فيها لوبين بعين الخيال تلك الضحية المغلوبة على أمرها . في قبضة القاهر رأى كلاريس مرجى المرأة المحبة لزوجها الذى قتله دوبريك ، والأم المولهة بولدها جلبرت . رأى كلاريس مرجى مضطرة لكي تنقذ ولدها من المشنقة ان تستسلم لشهوات عدوها اللدود .. ذلك الوحش الذى لم يكن لوبين يذكر اسمه دون ان تثور فى نفسه عوامل التمرد والاشمئزاز .

وجلس بجانبها واخذ يتحدث اليها فى لطف . قال :

— إصغى إلى جيدا . انى اقسم لك بان انقذ ولدك .. ان ولدك لن يموت على المشنقة . اتسمعين ؟ لاتوجد قوة على ظهر البسيطة تستطيع ان تمس شعرة واحدة من رأس ولدك مادمت على قيد الحياة .

— إنى اؤمن بك .. وأثق بما تقول .

— اعتمدى على إذن .. لقد قلت لك كلمة رجل شريف لايعرف الفشل . ولكنى اطالبك بان تقطعى على نفسك عهدا .

— بماذا !

— بأن تنفضى يديك من دوبريك فلا تقابلينه بعد الآن .

وكانت تنظر اليه بعينين ملؤهما الطمأنينة والاستسلام المطلق . أما هو فقد شعر بلذة الاخلاص والتفانى ورغبة حارة فى أن يعيد الهناء إلى قلب هذه المرأة أو يعيد اليها على الأقل الهدوء والنسيان اللذين يدملان الجروح .

فقال لها وهو ينهض : الآن يجب أن تطمئنى فلا يزال أمامنا شهران أو ثلاثة اشهر . وهذا أكثر مما يلزمنا .. طبعا .. على شرط أن أكون حراً فى تصرفاتى ، ولذا أرى انه يحسن بك أن تنسحبى من المعركة .. بالاقامة فى الأرياف ولو لفترة قصيرة من الوقت تستردين فيها صحتك .

وفى اليوم التالى استأجرت كلاريس مرجى غرفة بمنزل إحدى صديقاتها عند حدود غابة سان جرمان .

أما لوبين فقد شرع فى تغيير خطته . وراح يفكر فى طريقة لاختطاف دوبريك وحبسه ، وكان قد صفح عن جرونار ولوبالو فأوعز إليهما أن يرقبا الرجل فى غدواته وروحاته .

وكانت الصحف قد أذاعت نبأ دنو الموعد المقرر لمحاكمة شريكى أرسين لوبين المتهمين بارتكاب جريمة القتل .

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر أحد الأيام دق جرس التليفون فى منزل لوبين بشارع شاتوبريان .

فتناول السماعة وهتف : آلو .

فأجابته امرأة بصوت متهدج :

— أهذا أنت مسيو ميشيل بومون ؟

— نعم يا سيدى .

— أسرع يا سيدى .. فإن مدام كلاريس مرجى قد سممت نفسها . . .

وهنا ألقى بالسماعة واندفع إلى الخارج ؛ واستقل سيارة ذهبت

به إلى سان جرمان . وكانت صديقة كلاريس فى انتظاره بباب غرفتها فسألها فى لهفة :

— هل ماتت ؟

— كلا لم تمت . لأن الجرعة لم تكن كافية .

— ولماذا حاولت الانتحار ؟ ...

— لأن ولدها جاك اختفى .

— هل خطف ؟

— نعم . كان يلعب عند مدخل الغابة ، فوقفت إحدى السيارات فجأة ، ونزلت منها سيدتان متقدمتان فى السن فاختطفتا الغلام وانطلقتا به .. وحاولت كلاريس أن تلحق بالسيارة .. لكنها سقطت على الأرض منهوكة القوى ، وكانت تئن قائلة « إنه هو ... هو ... ذلك الشقى .. لقد أضعت كل شىء بسببه » .

— كيف عرفت اسمى وعنوانى ؟

— منها ، وقد اتصلت بك تليفونياً حين كان الطبيب يفحصها .

— هل أستطيع أن أراها ؟

— إنها نائمة الآن ، وقد أمر الطبيب بعدم تعريضها لأى نوع من المؤثرات .

— هل يرى الطبيب أنها فى خطر .

— انه يخاف عليها الحمى والانفعال ، وكل ما من شأنه ان يحملها على إعادة الكرة والاقدام على الانتحار .

— وماذا يجب عمله لذلك ؟

— يجب ان تتوفر لها اسباب الراحة التامة خلال اسبوع او اثنين وهو ما اراه متعذراً طالما ولدها جاك ..

فقاطعها لوبين قائلا :

— اتعتقدين انه لو اعيد إليها ولدها ...

— آه ! نعم بلا ريب . عند ذلك لا يخشى عليها من المضاعفات

— حسنا . متى استيقظت مدام مرجى إذن فقولى لها انني سأحضر إليها ولدها فى هذا المساء ، قبل منتصف الليل ، هذا المساء قبل منتصف الليل ، هل فهمت ؟ وسترين انني سأنجز وعدى .

ووثب الى الخارج وصاح بالسائق : إلى ميدان لامارتين .. الى منزل النائب دوبريك .

« ٥ »

كانت سيارة لوبين عبارة عن مكتب عمل مجهز بكتب وادوات ومداد وورق واقلام ، كانت فى ذات الوقت اشبه ما يكون بغرفة ممثل مجهزة بجميع ادوات التنكر ، وبصندوق ملىء بالملابس المطلات . وكل ما من شأنه ان يساعده على تغيير هيئته من الرأس إلى القدم اثناء الطريق .

ارتدى لوبين ثوب سهرة وقبعة طويلة ، وارسل شعر لحيته ووضع على عينيه منظاراً . وبلغ إلى منزل دوبريك فى الساعة السادسة تقريبا فدق جرس الباب ففتحته الحارسة ودعت فيكتوار التى لم تلبث

ان حضرت فسألها قائلا :

ـ هل يستطيع مسيو دوبريك ان يقابل الدكتور فرن ؟

ـ ان سيدى فى غرفته وهو الآن ..

فقاطعها بقوله : قدمى إليه هذه البطاقة .

وكتب على ركن البطاقة الكلمات الآتية : « من عند مدام مرجى »

ثم ناولها إياها قائلا :

ـ خذى . أنا لا أشك الآن فى انه سيسمح لي بمقابلته .

ـ ولكن ...

ـ ولكن ماذا ايتها الممرضة العجوز ؟

فذهلت فيكتوار وتمتمت : اهذا انت ؟!

فهمس :

ـ إصمتى ، حالما تجدينني معه على انفراد ، إصعدى إلى غرفتك واحزمى امتعتك واهربى .

ـ ماذا ؟

ـ إفعلى كما اقول لك . . ستجدين سيارتى فى الخارج ، هلمى ، انبئى دوبريك بحضورى وسانتظره فى غرفة المكتب .

وكان الظلام مخيما . فاضاءت فيكتوار المصباح الكهربائى وتركت لوبين وحده فى غرفة المكتب فقال لنفسه :

ـ يجب ان تكون السدادة البلورية هنا مالم يكن دوبريك قد احتفظ بها فى جيبه .

وأجال الطرف حوله فى أنحاء الغرفة وتذكر الرسالة التى بعث بها دوبريك إلى براسفيل والتى استهلها بقوله : كانت فى متناول يدك .. لو صبرت قليلا لأمكنك الوصول إليها . » وأدرك عندئذ فقط أن دوبريك لا بد يعلم أن براسفيل يعرف سر السدادة خلافا لما تعتقده مدام مرجى .

وانه لا يزال يفكر فى هذا إذا به يسمع وقع خطى تقترب .

ودخل دوبريك ، ولم ينطق بكلمة ، بل اشار إلي لوبين بأن يجلس وجلس هو ايضا إلى مكتبه ، ثم قال للزائر وهو ينظر إلى البطاقة التى كانت لا تزال بين اصابعه .

ـ الدكتور فرن ؟

ـ نعم يا سيدى النائب .. انا الدكتور فرن بسان جرمان .

ـ اراك قادما من قبل مدام مرجى . . هى من زبائنك بـلا شك

ـ لا ، لم اكن اعرفها من قبل أن أدعى لفحصها ، منذ هنيهة ، فى ظروف خطيرة .

ـ هل هى مريضة ؟

ـ لقد تجرعت سما .

ـ ماذا ؟

ووثب الرجل من مكانه واستطرد دون ان يخفى اضطرابه :

ـ ماذا تقول ؟ تجرعت سما ! . . هل ماتت ؟

ـ لا ، لم يكن مقدار السم كافيا لقتلها . وانا اعتقد انها ستشفى .

فصمت دوبريك لحظة ثم قال :

ـ إذن ستنشق مدام مرجى . هذا حسن .. وقد ارسلتك الى
ولكن لماذا ارسلتك ؟!

فاصطنع لوبين الارتباك والبساطة وقال :

ـ ياسيدى النائب . هناك احوال تكون فيها مهمة الطبيب شديدة التعقيد او تكون شديدة الغموض . وذلك حال اليوم كما سترى .. فقد حدث وانا افحص مدام مرجى انها حاولت للمرة الثانية ان تنتحر بالسم ، نعم .. كانت قنينة السم للأسف بجانبها فانتزعتها منها بعد نضال شديد . وكانت المرأة التعسة تهذى اثناء ذلك بكلمات متقطعة . كانت تقول :

ـ « إنه هو ... هو دوبريك .. النائب يجب أن يرد إلى ولدى . قل له هذا .. وإلا فانى أموت .. سأموت حالا . هذه الليلة . أريد أن أموت » .

لذلك فكرت ياسيدى النائب فى أن انهى اليك ماحدث .. دون أن افهم غرضها على وجه التحقيق .

ففكر دوبريك طويلا ثم قال :

ـ صفوة القول يا سيدى انك جئت لتسألنى عما اذا كنت أعرف اين يوجد ولدها . الذى يخيل الى انه اختفى ، اليس كذلك ؟

ـ نعم ...

ـ اذا عرفت مكانه . هل تأخذه الى والدته ؟

ـ نعم ...

وساد بينهما صمت طويل . وقال لوبين لنفسه .

ـ ترى هل ازدرد هذه القصة ؟

قال دوبريك فجأة : أرجو المعذرة .. اريد التحدث بالتليفون فى أمر هام .

ـ افعل يا سيدى النائب .

ـ آلو .. مدموازيل ٨٠ ـ ٤٣ أوديون.

وردد الرقم ثم انتظر .

فابتسم لوبين وقال : هذا رقم التيفون ادارة البوليس .. أليس كذلك ؟

ـ اتعرف هذا الرقم اذن يا دكتور ؟

ـ طبعا . بصفتى طبيب شرعى يتصل عمـله بالبوليس فى بعض

ولكنه قال لنفسه :

ـ ياللشيطـان . ما معنى كل ذلك ؟

هتف دوبريك :

ـ آلو ٨٠ ـ ٤٣ ؟ .. اريد التحدث الى مسيو براسفيل السكرتير العام. آه .. أهذا أنت ايها الشيخ براسفيل . ماذا بك. يخيل الى انك مضطرب .. نعم ، نحن لم نتقابل منذ مدة بعيدة . ولكننا فى الحقيقة كنا متصلين دائما بالفكر .. ماذا ؟ وقتك ضيق .. إذن سأتكلم بايجاز اريد ان اقدم لك خدمة بسيطة ألا صبرا أيها الحيوان فسوف لا تندم

على هذه الدقائق ! .. ستنال فخرا عظيما .. آه لو ! اجمع نصف (دستة) من رجالك وسارع بهم الى هنا فسأقدم لك صيدا ممتازاً .. نعم صيدا من الطبقة العليا . نابليون نفسه.. بالاختصار سأقدم اليك ارسين لوبين.

وهنا نهض لوبين واقفاً . كان يتوقع كل شيء إلا هذا .

واستطرد دوبريك دون ان يعبأ بلوبين :

ـ ستجد لوبين هنا امامي يا براسفيل . اصعد الي الطابق الثالث ستلتقي بطاهيتي ، فيكتوار العظيمة ، مرضعة السيد لوبين ، ثم لاتنس أن ترسل فرقة اخرى من رجالك الى شارع شاتوبريان على ناصية شارع بلزاك . هناك يسكن لوبين متنكراً تحت اسم ميشيل بوموز ، هل فهمت ايها الشيخ براسفيل ؟ والآن هيا الي العمل .

ولم يتمالك لوبين من الاعجاب بدهاء دوبريك .

اما دوبريك فانه اقترب منه وقال له في هدوء .

ـ كل هذا حسن فموقفنا الآن واضح ، لوبين ضد دوبريك .

والآن يامسيو لوبين ، انى امهلك ثلاثين دقيقة لكي توضح لى غرضك من هذه الزيارة ، وإلا كان مصيرك واعوانك الاعتقال.. امهلك ثلاثين دقيقة لا اكثر يجب عليك بعدها ان تخلي المكان وتفر كالارنب وتحل العصابة .. آه كم هذا مضحك .. يجب ان تعترف ياعزيزي بانك حقا سيء الحظ مع دوبريك .

ألم اضبطك قبل الآن مختبئا وراء الستار.

كانت هذه هي المرة الثانية التي يجد فيها لوبين نفسه في هذه الغرفة

وفي ظروف مماثلة مرغما علي الانحناء امام دوبريك ، وعلى ان يرضى بموقفه المخزى الجدير بالسخرية .

ودلو ينقض عليه فيزهق روحه ولكنه قال لنفسه :

ـ وما الفائدة ، ان الغاية التى اسعى الى تحقيقها تقتضيني الحلم والأناة والروية .

اما النائب فقد استطرد قائلا : والآن يامسيو لوبين ، اراك عابساً مكفهر الوجه. كان يجب عليك ان تفكر انك قد تلقى في طريقك رجلا ليس من الغباء بحيث تجوز عليه حيلتك . انى لم استطع ان اكتشف حقيقتك في حادث مسرح الفودفيل . وخيل الى ان شخصاً ثالثا يحاول ان يندس في المسألة الى جانب مدام مرجي والبوليس ، واخيرا عولت على معرفة الحقيقة. وقد عرفتها من خلال كلمات متفرقة كانت تقوم بها الطاهية ومن مراقبتى غدواتها وروحاتها ، الى ان كانت تلك الليلة التى أحدثتم فيها الهرج في منزلى فتبعتها حتى شارع شاتوبريان ثم الى سان جرمان .. لقد حسبتم في تلك الليلة انى كنت نائما .ولكني سمعت كل شيء. وااستعرضت الحوادث اخيراً من سطو على فيلا انجين.. وقبض على جلبرت . ومعاهدة تحالف لامندوحه عنها بين الأم الحزينة وزعيم العصابة .. ومرضعة عجوز تعمل طاهية عندى .. ودخول الى منزلى من النوافذ والأبواب ـ أيقنت ان الاستاذ لوبين يحوم حول باقة الورد . وان رائحة السبعة والعشرين تستهويه فأخذت انتظر زيارته.. وها قد حانت هذه الزيارة السعيدة .

ثم أخرج دوبريك ساعته.. ونظر اليها وهتف :

ـ أوه .. لقد انقضى أكثر من ثلاث وعشرين دقيقة . ان الوقت يمضي بسرعة . واذا استمرت الحال على هذا المنوال فلن نجد الوقت الكافي للتفاهم.

ولكن لوبين لم يفه بكلمة واحدة بل اقترب بدوره من التليفون وتناول السماعة بعد ان ازاح دوبريك عن الطاولة بلطف وقال :

ـ آلو ـ ٣٤ ـ ٦٥ آلو .. أهذا انت يا أشيل . أنا لوبين . اصغ الى يا آشيل : يجب ان تغادر المنزل فورا ، سيحضر اليك البوليس بعد دقائق فلاتخف . لديك الوقت الكافي لحزم امتعتك . ولكن عليك الآن ان تنطلق الى غرفتي فتجد امام الموقد درجا سريا فافتح هذا الدرج تجد به صندوقين صغيرين احدهما يحتوى على أوراقنا والآخر على اوراق مالية ومجوهرات ضع هذين الصندوقين فى حقيبتك واذهب الى ملتقى شارعى فيكتور هو جوومونتسبان ، فتجد السيارة وفيكتوار هناك فى انتظارك . سألحق بكما . ماذا ؟ . الملابس ؟ التحف ؟ دع كل هذا وانج بنفسك الى اللقاء ياعزيزي أشيل .

وترك سماعة التليفون ثم قبض على ساعد دوبريك وأجلسه على مقعد ملاصق لمقعده وقال له :

ـ والآن . اصغ الى يادوبريك .

ـ أرى اننا بدأنا نتحدث الآن بغير كلفة.

وأراد أن يتملص من قبضة لوبين فقال له هذا :

ـ لاتخف ، فلن نتشاجر ، إذا لا فائدة من أن يحطم احدنا الآخر لكننى الآن بأن اقول لك بضع كلمات ولكنها كلمات فاصلة .. لا مرد لها ، انما يجب أن تجيب عليها فورا بغير تفكير فهذا خير لك .

اين الغلام ؟

ـ انه عندى

ـ رده ـ كلا

ـ ستنتحر مدام مرجى اذا لم ترده ـ كلا .. انها لن تنتحر .

ـ انها حاولت فعلا ان تقتل نفسها.

ولكنها لن تعود الى هذه المحاولة.

ـ اذن ؟ ـ لاشيء.

فاطرق لوبين برأسه لحظة ثم قال :

ـ كنت أتوقع على كل حال الاتجوز عليك حيلة الدكتور فرن وانى قد اضطر الى الالتجاء الى وسائل أخرى.

ـ وسائل لوبين ؟

ـ لقد كان فى نيتى ان اميط لك النقاب عن وجهى ولكنك ازحته وهذا بديع ولكنه لايغير شيئا من خطتى ..

واخرج من جيبه دفترا صغيرا انتزع منه ورقة وطواها وقدمها الى دوبريك قائلا:

ـ هذا بيان مفصل بالأشياء التى سلبتها أنا وزملائى من فيللا مارى تيريز فى انجين ، وأنا أعرض عليك هذه المسروقات مقابل ان تسلمنى

الطفل فى الحال. فظهرت على وجه دوبريك علامات الدهشة وقال:

ـ يخيل الى انك حريص على ان يجاب طلبك.

ـ ذلك لأنى موقن بأن غياب الطفل سيؤدى حتما الى موت امه مدام مرجى.

ـ وهل هذا يزعجك يادون جوان؟ يا عشيق النساء.

فحدجها لوبين بنظرة صارمة وسأله : ماذا تعنى؟

ـ لاشىء ، خطر لى خاطر عادى ، ان كلاريس مرجى لا تزال على جانب من الجمال، فهز لوبين كتفيه باحتقار وقال :

ـ قبحك الله . اتحسب ان جميع الناس على شاكلتك بلا قلب ولا رحمة فتساءل اى دافع قذر يحدونى الى مساعدة هذه المرأة؟ لاتحاول ان تعرف الدافع فذلك ليس من شأنك ، ولكن اجبنى باختصار هل تقبل ما اعرضه عليك او لاتقبل؟

ـ هل انت جاد فيما تقول؟

ـ كل الجد ، وسأذكر لك عنوان المكان الذى اودعت به اشياءك وستتسلم اليك جميعاً اذا حضرت فى الساعة التاسعة ومعك الطفل

ففكر دوبريك فى الأمر ملياً.

لم يكن اختطاف الصغير جاك سوى وسيلة للتأثير على كلاريس مرجى وربما كان كذلك بمثابة انذار لها لتتخلف عن محاربته لكن اقدامها على الانتحار كان جديرا بان يظهره على ما فى الطريق التى اتبعها من خطأ واعوجاج . اجاب : قبلت.

ـ اليك عنوان المكان ٩٥ شارع شارل لافاييت .

ـ وإذا أتيت عن براسفيل السكرتير العام؟

ـ اذا أرسلت براسفيل فاعلم أن المكان مهيأ بطريقة تسهل أختفائي من أمامه حتى ولو كان على قيد أنملة منى . وسيكون لدى فضلا عن ذلك الوقت الكافى لكى أشعل النار فى المكان.

ـ ولكن من يؤكد لى أنك لا تنصب لى شركا؟

ـ لا تسلم الطفل قبل أن تستلم الأشياء.

ـ حسنا .. سأسلمك الطفل . وستعيش كلاريس وستكون جميعا سعداء .. والآن إذا كان لى ان اسدى اليك نصيحة فهى أن تهرب على جناح السرعة.

ـ ليس الآن.

ـ لماذا؟ ألم أعدك بان أرد الولد إلى أمه.

ـ بقى ولد آخر. ـ تعنى جلبرت؟

ـ وأنا أطلب اليك أن تنقذه.

ـ ماذا تقول؟ أنا .. أنقذ جلبرت!

ـ تستطيع ذلك . ليس عليك الا أن تستغل نفوذك.

وهنا احتدم دوبريك ودق بيده على المكتب وصاح قائلا :

ـ أما هذا فلا .. لا .. لا تعتمد على فى ذلك! ..

أخذ يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا مترنحا ذات اليمين وذات اليسار ، وكان يشبه فى خلقته وفى مشيته المتثاقلة دبا خاملا بليدا.

استطرد بصوت اجش :

ـ لتأت كلاريس إلي هنا !.. ولتتوسل إلى أن أنقذ ولدها ؟ ولكن لتأت بلا سلاح متجردة من كل رغبة فى ارتكاب جريمة قتل كما فعلت فى المرة السابقة .. أتحضر لى خاضعة .. مستسلمة .. مغلوبة على أمرها لتقبل ما اشترطت عليها .. وعند ذلك .. عند ذلك فقط يمكننا ان تنظر فى شأن جلبرت .. ان الحكم على جلبرت بالاعدام . هو الغرض الذى كنت أرمى اليه .. فما قولك فى ذلك ، منذ نيف وعشرين عاما وأنا أنتظر ساعة الانتقام ، وعندما تحين هذه الساعة التى استطيع فيها أن أروى غلتى واشبع نهمتى وآخذ بثأرى . عندئذ سأشعر بالسعادة الكاملة .. إذ أكون قد حققت لنفسى الثأر الكامل الذى سعيت وراءه عشرين عاما ، أ أنقذ جلبرت .. أنا .. دوبريك هكذا بلا مقابل ؟ . لماذا ؟ . من اجل الشرف ؟ أى شرف . انك لا تعرفنى .

وضحك ضحكة تنم عن خبثه وقسوته .

فكظم لوبين غيظه وقال :

ـ أصغ الى .

ولكن دوبريك كان قد نفد صبره ، وهم بالانسحاب ، فأمسك لوبين كتفيه بقوة هائلة لم يتمكن معها من الحراك ، وقال له :

ـ كلمة اخيرة ، اسمع يادوبريك. ينبغى عليك ان تنسى مدام مرجى وان تعدل عن كل الحماقات والسفالات التى يغريك حبك ونزعاتك

البهيمية بارتكابها ، ارجع عن غيك ولا تفكر إلا فى مصالحك .

فقال دوبريك ساخراً :

ـ ولكن مصالحى تتفق دائما مع غرامى ، وهو ما تسميه انت نزعات بهيمية .

ـ لقد كان ذلك صحيحا حتى الآن ، لكن منذ اليوم وقد اصبح لى ضلع فى هذه القضية فليس من مصلحتك فى شىء ان تستمر فى هذا التبذل ، ثم هناك امر هام لاينبغى لك اغفاله وعليك ان تحذر التورط فيه ، فاعلم ان جلبرت شريكى ، وهو ايضا صديقى ويجب ان ينقذ من الاعدام .

ـ واذا لم اذعن لارادتك ؟

ـ اعلن عليك حربا شعواء ، لن تقوم لك بعدها قائمة ؟

ـ بأى سلاح تقوى على محاربتى ياهذا ؟

ـ بقائمة السبعة والعشرين .

ـ انت تهذى.. أتحسب انك قادر على ان تصل الى ماعجز عنه براسفيل وحاشيته وعجزت عنه كلاريس مرجى وكثيرون غيرهم ؟

ـ نعم

ـ ولماذا ، لماذا تفوز انت حيث فشل جميع الناس ، بماذا تمتاز انت عن سواك .

ـ امتاز بانني ادعى ارسين لوبين .

وهنا اعتدل دوبريك وربت له على كتفه وقال له بنفس

اللهجة و بنفس العناد :

ـ وأنا ادعى دوبريك ، وليست كل حياتى الا حربا متواصلة شعواء وسلسلة طويلة من المشاكل والحلول ، لقد أفنيت قوتي فيما بذلت من جهود جبارة لاحراز النصر وقد نلت فعلا ما اردت ـ فوزا مبينا ساحقا طاغيا . ان رجال الأمن جميعا ، والحكومة بأسرها ، بل فرنسا كلها ، اولئك يطاردوننى فماذا يضيرني إذا أضيف اليهم شخص يدعى أرسين لوبين ؟ دعنى اذهب معك الي ابعد من ذلك فاقول لك انه كلما كثر أعدائى وزاد عدد الناقمين منهم كان ذلك باعثا الى على زيادة الحذر ، ولهذا ياسيدى العزيز ولكي أبرهن لك على انى لا اعبأ بك فانى أطلق سراحك ، وأطلب اليك ان تغادر هذا المكان بعد ثلاث دقائق على الاكثر .

ـ معنى ذلك انك ترفض ؟

ـ نعم .

ـ ألا تعمل شيئا من أجل جلبرت ؟

ـ أجل . سأواصل مابدأت به منذ ان قبض عليه ، سأضغط من طريق غير مباشر على وزير الحقانية لكى تأخذ القضية سيرا معجلا فى الاتجاه الذى اريده .. نعم .. ان الورقة الوحيدة الباقية فى يدى هى رأس جلبرت . الابن . وانا اقامر بها . واليوم احصل على حكم ظريف باعدام جلبرت . يمكنك ان تتأكد ياسيو لوبين ان الأم لن تر مانعا عند ذلك من ان تدعى مدام الكسيس دوبريك ، وان تقطع على نفسها

عهودا غير منقوضة بان تحترم ارادتي وتصاع لأمرى .. ان هذه الخاتمة السيدة محتومة سواء اردت ام لم ترد . وكل ما استطيع ان اعمله من اجلك هو ان ادعوك الى حفلة زفافى ، وبعد ذلك الى مأدبة العشاء الا يعجبك هذا ؟ امصر انت إذن على متابعة مشروعاتك السوداء ؟. اذن ادعو لك بالحظ السعيد فانصب الاشراك ، وارم الشباك واصقل سلاحك واعد عدتك للسطو على قائمة السبعة والعشرين فستكون فى حاجة اليها . طاب مساؤك الآن ..

وبقى لوبين صامتا برهة طويلة وهو يحملق نحو دوبريك كأنما ليتبين فى اى مكان من جسمه يجب عليه ان يهاجمه .

اما دوبريك فقد وقف على قدم الاستعداد .. وفجأة دس لوبين يده فى جيبه فحذا دوبريك حذوه وقبض على مسدسه ..

ولكن لوبين لم يخرج من جيبه مسدسا بل اخرج علبة ذهبية بها بعض الأقراص فقدمها إلى دوبريك قائلا :

ـ هل لك فى قرص من هذه .

فقال دوبريك : ما هذا ؟

ـ اقراص (جيروديل)

ـ ماذا ؟

ـ لمعالجة الزكام الذى سوف تصاب به . اما الآن فالى اللقاء .

وبعد ساعتين كان لوبين ينتظر فى منزله فى (نيولى) فرأى دوبريك مقبلا فى حذر .

فتح له الباب بنفسه وقال له :

ـ ها هى حاجياتك ياسيدى النائب . يمكنك ان تراها .

فأخذ دوبريك فى فحصها ثم رافق لوبين الى شارع (نيللى) وهناك وجدا سيدتين متقدمتين فى السن تنتظران ومعهما جاك الصغير .

فحمل لوبين الطفل بين ذراعيه ، وفى اليوم التالى انتقلت كلاريس مرجى وولدها الى منزل على شاطىء البحر فى مقاطعة (بريتوز) استأجره لوبين لهما وعهد فى العناية بهما الى فيكتوار .

ولما اطمأن لوبين الى ذلك قال لنفسه :

ـ لقد اصبحت الآن وجها لوجه امام دوبريك ، وبعد اسبوع يصدر الحكم على فوشيرى وجلبرت فيجب بذل كل الجهود والممكنة لخلاص جلبرت .

وكان البوليس قد هاجم منزله فى شارع شاتوبريان وعرف ان ميشيل بومون ولوبين ليسا الا شخصا واحدا ، واكتشف بعض الاوراق التى تثبت ادانته ، فضاعف ذلك حقده على دوبريك .

وكان جرونيار ولو بالو لايكفان عن تتبع خطوات هذا الأخير ومراقبته عن كثب

وفكر لوبين من ناحيته فى خطة جديدة وهى استدعاء شريك له يدعى الأب برندبوا من مرسيليا وهو بدال شهير يقيم فى دائرة دوبريك الانتخابية ويشتغل بالسياسة .

فكتب الأب برندبوا من مرسيليا الى دوبريك يخبره بزيارته ،

فاهتم دوبريك اهتماما كبيرا بهذا الناخب العظيم واعد العدة لأقامة مأدبة غداء له فى الأسبوع التالى .

واقترح الأب برندبوا على مضيفه أن يكون الغداء فى احد المطاعم الكائنة على الشاطىء الايسر حيث الطعام شهى فوافق دوبريك على ذلك ، وكان هذا مايرومه لوبين لأن صاحب هذا المطعم من اصدقائه .

وفى يوم الأثنين من ذلك الاسبوع بدأت محاكمة جلبرت وفوشيرى .

وعقدت جلسات المحاكمة وترافع المحامون ، ولوحظ ان رئيس الجلسة يتعمد تضييق الخناق على جلبرت ، فكان فى اسئلته شديد الصرامة ، مرهقا له ، مبالغا فى القسوة ، وقد لمس لوبين فى هذا السلوك اصبع دوبريك ونفوذه البغيض .

وكان موقف المتهمين متناقضا ، فاما فوشيرى فكان مكتئباً صامتا وقد اعترف بخسة ولؤم ظاهرين ، وبكلمات مقتضبة مثيرة لعوامل الأشمئزاز بما أرتكب من جرائم فى الماضى لكنه انكر بكل قوته اشتراكه فى قتل الخادم ليونارد ووجه الاتهام بقوة الى جلبرت .

كان يقصد من وراء ذلك ان يربط مصيره بمصير جلبرت وبذلك يرغم لوبين على السعى لانقاذهما معا .

واما جلبرت فكان منبسط اسارير الوجه وقد هز موقفه قلوب النظارة ، غير انه لسوء حظه لم يكن فى مقدوره ان يتحاشى ما كان رئيس الجلسة ينصب له من فخاخ ، وكذلك لم يكن طلق اللسان قوى العارضة بحيث يستطيع ان يدرأ عن نفسه التهم التى يوجهها اليه فوشيرى

وفى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم عقد المحلفون جلسة تناقشوا فيها طويلا وقرأ رئيسهم الأجوبة التى رد بها المحلفون على اسئلة المحكمة وكلها تفيد الإدانة بالاجماع ورفض الأخذ بالظروف المخففة .

واستدعى المتهمان ، وهما يترنحان نص الحكم عليهما بالاعدام

« ٥ »

قصد لوبين إلى منزله الجديد فى ميدان (كليشى) لأنه كان على موعد هناك مع جرونيار ولوبالو للاتفاق على اختطاف دوبريك .

غير انه ما كاد يفتح داره حتى سمع صرخة داوية ، ونحيبا مؤلما .. ذلك لأن كلاريس كانت قد عادت من بريتون فى نفس الوقت الذى صدر فيه حكم الاعدام .

وقد رآها لوبين ممتقعة اللون متخاذلة فأيقن فى الحال أنها أنبئت بالخبر المؤلم ، فاستجمع شجاعته وقال لها قبل ان يترك لها فرصة الكلام :

ـ لقد صدر الحكم .. نعم .. وقد كان ذلك منتظرا ، ولم يكن فى مقدورنا ان نحول دون وقوعه !! المهم الآن هو منع تنفيذ الحكم وسنمنع تنفيذه الليلة .. هل سمعت ! الليلة .

فتمتمت كلاريس وهى فى حالة يرثى لها : هذه الليلة !

ـ نعم . لقد اعددت كل شىء ، وبعد ساعتين يكون دوبريك فى قبضة يدى . وفى هذه الليلة بالذات سأرغمه على الكلام وسأستخدم لذلك كل وسيلة مشروعة او غير مشروعة .

ـ هل تحسب انه سيتكلم !

ـ سيتكلم طوعا او كرها .. سانتزع سره من بين جنبيه ... سانتزع ايضا قائمة السبعة والعشرين .. وسيكون ذلك بشيرا بقرب خلاص ولدك ..

فغمغمت كلاريس قائلة : لقد سبق السيف العذل .

ـ لماذا .. دعينى اؤكد لك من جديد ان جلبرت سيكون طليقا بعد ثلاثة أيام .

وفى هذه اللحظة دق جرس الباب ، فقال لوبين :

ـ هاهم أصدقاؤنا .. اطمئنى .. واذكرى اننى احافظ على عهودى .. لقد جئتك بولدك جاك .. وساجيئك بجلبرت كذلك .

وأقبل جرونيار ولوبالو فقال لهما :

ـ لقد دبرت كل شىء فاسرعا فالأب برندبوا فى المطعم الآن .

فقال لوبالو : لم تعد هناك ضرورة لذلك .

ـ كيف ! ـ لقد جد فى الامر جديد .

ـ أى جديد . ـ لقد اختفى دوبريك .

ـ ماذا تقول يا هذا . بماذا تهذى .. دوبريك .. اختفى ..

ـ نعم . قد اختطف من داره فى رابعة النهار ..

ـ بالصواعق .. ومن ذا الذى سبقنا الى اختطافه ..

ـ لا أحد يدرى .. لقد باغته أربعة أشخاص .. وتبودلت بينه

وبينهم الاعيرة النارية .. والبوليس يعاين الآن مكان الحادث.

وجد لوبين في مكانه ونظر الى كلاريس مرجي دون أن ينطق بكلمة واحدة .

شعر بان اختطاف دوبريك معناه أفول آخر نجم في سماء حظه .

الفصل الثاني

وجه نابليون

ما كاد مدير البوليس والامن العام وقضاة التحقيق يبرحون بيت دوبريك بعد أن أجروا تحقيقات غير مجدية حتى شرع براسفيل في القيام بتحرياته الخاصة .

أخذ يفتش غرفة المكتب ويتعقب آثار العراك الذى نشب فيها بين دوبريك وأعدائه وانه يفعل ذلك اذا بحارسة الباب تحمل اليه بطاقة زيارة سطرت عليها بضع كلمات بالقلم الرصاص فنظر الى البطاقة وقال:

ـ دعي صاحبة البطاقة تدخل .

ـ انها ليست وحدها ياسيدي .

ـ اذن ليدخل من معها كذلك .

فدخلت كلاريس مرجي وقدمت لبراسفيل السيد الذى يصحبها .

وكان يرتدي ثوب سهرة ضيق على جانب كبير من القذارة .

وقالت كلاريس: دعني أقدم اليك مسيو نيكول المدرس، وهو

استاذ ولدى جاك . لقد ساعدني مسيو نيكول مساعدة قيمة بما بذله الى منذ عام من نصح وارشاد ، فقد استطاع ان يدون بمهارة عجيبة قصة السدادة البلورية بكاملها وكنت أود لو أتيح لنا ـ اذا لم يكن لديك مانع ـ أن تشرح لنا كيف اختطف دوبريك ، لان هذا الحادث يزعجني ويعرقل مساعي ومساعيك . أليس كذلك؟ ..

وكان براسفيل يثق بكلاريس مرجي ثقة عمياء لانه يعرف مبلغ حقدها على دوبريك ، ولذلك لم يتردد في أن يصارحها بما وقف عليه من القرائن وأقوال حارسة الباب.

فقال ان دوبريك بعد ان أدى الشهادة في قضية جلبرت وفوشيري عاد الى منزله بعد انتهاء الجلسة حوالي الساعة السادسة وقد اكدت حارسة الباب انه عاد بمفرده وانه لم يكن بالمنزل أحد في ذلك الوقت بيد انها ما لبثت ان سمعت صراخا وعراكا فطلقين ناريين ورأت من غرفتها اربعة اشخاص مقنعين يهبطون السلم مهرولين والنائب دوبريك بين ايديهم ثم سارعوا الى الخارج من خلال باب الحديقة وكانت سيارة قد وصلت في تلك اللحظة . وما كادت تقف امام الباب حتى وثب اليها الرجال الاربعة فانطلقت بهم تنهب الارض نهبا .

سألت كلاريس : ولكنك وضعت رجلين لمراقبته فأين كانا وقتئذ ؟ ..

ـ كانا موجودين فعلا ولكن على بعد ١٥ مترا ، وقد تمت عملية الاختطاف قبل أن يتمكنا من التدخل في الأمر .

— ألم يعثر الرجلان على شيء ؟

— لاشيء سوى هذه . قطعة صغيرة من العاج التقطوها من الأرض وقد كان بالسيارة شخص خامس رأته حارسة الباب من نافذتها وهو يبرح السيارة ليفسح مكانا لزميلاته ودوبريك ، وقد سقط منه اثناء عودته الى السيارة شيء لم يتوان في إلتقاطه ، لكنه تحطم على رصيف الشارع لأن هذه القطعة ليست الا قسما منه.

— لكن كيف تمكن اولئك القوم من الدخول ؟

— لا شك انهم استعملوا مفاتيح مصطنعة . ولما كانت حارسة الباب في شغل بقضاء بعض حاجياتها ولم يكن عند دوبريك خادم آخر فقد تمكنوا من الاختفاء .. ان كل شيء يحملني على الظن بانهم اختبأوا في هذه الغرفة المجاورة وهي غرفة المائدة ثم هاجموا دوبريك في مكتبه ولا بد أن العراك كان عنيفا بدليل هذا الاختلال في نظام الغرفة واثاثها وهذا المسدس الذي عثرنا به هو مسدس دوبريك

والتفت كلاريس نحو رفيقها تسأله رأيه لكنها وجدته مطرقا برأسه الى الارض وهو ينظر الى شيء بعينه.

قال براسفيل ليخرج الاستاذ من صمته :

— ان الحادث غامض .. أليس كذلك ياسيدي ؟

— نعم .. نعم .. غامض جدا ..

— الا ترى فيه رأيا ؟

— الذي أراه ياسيدي ان لدوبريك أعداء كثيرين.

— آه ! هذا رأي هام.

— ولما كان لبعض هؤلاء الأعداء مصلحة في اختفائه فقد تآمروا عليه . فقال براسفيل متهكما :

— عظيم جدا ! كل شيء قد وضح الآن . لم يبق الى ان تقدم لنا رأيا واحدا اخيرا لتوجيه مباحثنا في الاتجاه المناسب .

— الا ترى ياسيدي السكرتير أن هذه القطعة من العاج التي التقطت من الأرض ..

— لا ياأستاذ نيكول .. ان هذه القطعة هي جزء من شيء مجهول وقد سارع صاحبه الى اخفائه ومن المتعذر جدا معرفة ماهية هذا الشيء

ففكر مسيو نيكول ثم قال :

— ياسيدي السكرتير .. عندما سقط نابليون الأول ..

— آوه ! . ياأستاذ نيكول . . هل تريد ان تلقي محاضرة عن تاريخ فرنسا ؟

— ان لي كلمة يسيرة ياسيدي ارجو ان تأذن لي في اتمامها . . أريد ان اقول أن نابليون الأول عندما اسقط عن الحكم واعيدت الملكية احيل عدد كبير من الضباط الى المعاش واستمر رجال البوليس يراقبونهم ولكنهم كانوا شديدي الاخلاص لذكرى الامبراطور فحاولوا ان يخلدوا صورته على كل شيء يملكونه حتى السكاكين وعلب التبغ والخواتم وبالجملة على كل ما كانت تصل اليه ايديهم

— وما صلة ذلك بما نحن بصدده ؟ !

— هذه القطعة من العاج قد انفصلت عن عصا مقبضها من العاج المحفور واذا نظرنا الى هذا المقبض من زاوية معينة ظهر لنا أن الرسم المحفور عليه يشبه وجه نابليون . ان بين يديك ياسيدى قطعة من مقبض عصا يملكها أحد الضباط المحالين الى المعاش .

ففحص براسفيل قطعة العاج بامعان وقال :

— ارى فى الواقع شبه وجه .. ولكنى لا أدرك أهمية ذلك .

— الأمر بسيط ، فان بين ضحايا دوبريك أعنى بين اولئك الذين كتبت اسماؤهم فى القائمة الشهيرة .. رجلان من أعقاب أسرة كورسيكية من الأسر التى خدمت نابليون وأثرت فى أيامه وارتقت الى طبقة الاشراف ثم عادت فتدهورت بعد عودة الملكية ، وهذا الرجل هو الآن رئيس الحزب البونابرتى واعتقد أنه الشخص الخامس الذى كان مختفيا فى السيارة . فهل يجب أن أذكر اسمه ؟

— تعنى المركيز البوفكس !

— هو بعينه ، المركيز البوفكس .

وصمت الأستاذ نيكول لحظة ثم قال :

— ياسيدى السكرتير لقد كان فى استطاعتى أن احتفظ لنفسى بهذا الاكتشاف ولا أبلغك إياه الا بعد الفوز النهائى ، أى بعد أن أحضر لك قائمة السبعة والعشرين ، لكن الحوادث تجرى سراعا وقد جاء اختفاء دوبريك معجلا للأزمة التى تريدان تتجنبها . لذلك يجب العمل بكل سرعة للحصول على القائمة قبل ان يذاع مضمونها ، وانى أطلب اليك ياسيدى

ان تقدم لى معونتك الفعلية .

— اية معونة تطلب .

— اطلب مالديك من معلومات عن المركيز البوفكس وسأحاول من جانبى ربط ما بين هذه المعلومات والحادث الذى نحن بصدده .

فظهرت على وجه براسفيل علامات التردد والتفت الى مدام مرجى سائلا فقالت له :

— اتوسل اليك ان تقبل خدمات مسيو نيكول .. انه سيكون لك مساعدا قيما فضلا عن كونه صديقا مخلصا ...

فالتفت براسفيل الى الاستاذ وسأله :

— اية معلومات تريد ياسيدى .

— اريد الوقوف على كل ماله علاقة بالمركيز البوفكس .. حياته العائلية وعلاقاته واعماله واملاكه فى باريس او فى الارياف .

— فى اعتقادى انه مهما يكن من امر المعتدى فانه يعمل فى مصلحتنا لأن حصوله على القائمة يجرد دوبريك من سلاحه .

— ومن قال لك ياسيدى السكرتير انه لا يعمل لمصلحته الشخصية ،

— هذا مستحيل مادام اسمه مسجلا فى القائمة كما ذكرت .

— واذا محاه ووجدت نفسك من جديد امام محتال آخر اشد لؤما واعظم دهاء من الاول .

فافحم هذا الجواب براسفيل الذى مالبث ان قال بعد لحظة تفكير :

— ارجو ان تحضر لمقابلتى غدا فى الساعة الرابعة فى مكتبى بادارة البوليس

— هذه القطعة من العاج قد انفصلت عن عصا مقبضها من العاج المحفور واذا نظرنا الى هذا المقبض من زاوية معينة ظهر لنا أن الرسم المحفور عليه يشبه وجه نابليون . ان بين يديك ياسيدى قطعة من مقبض عصا يملكها أحد الضباط المحالين الى المعاش .

ففحص براسفيل قطعة العاج بامعان وقال :

— ارى فى الواقع شبه وجه .. ولكنى لا أدرك أهمية ذلك .

— الأمر بسيط ، فان بين ضحايا دوبريك أعنى بين اولئك الذين كتبت اسماؤهم فى القائمة الشهيرة .. رجلان من أعقاب أسرة كورسيكية من الأسر التى خدمت نابليون واثرت فى أيامه وارتفعت الى طبقة الاشراف ثم عادت فتدهورت بعد عودة الملكية ، وهذا الرجل هو الآن رئيس الحزب البونابرتى واعتقد أنه الشخص الخامس الذى كان مختفيا فى السيارة . فهل يجب أن أذكر اسمه ؟

— تعنى المركيز البوفكس !

— هو بعينه ، المركيز البوفكس .

وصمت الاستاذ نيكول لحظة ثم قال :

— ياسيدى السكرتير لقد كان فى استطاعتى أن احتفظ لنفسى بهذا الاكتشاف ولا أبلغك إياه الا بعد الفوز النهائى ، أى بعد أن أحضر لك قائمة السبعة والعشرين ، لكن الحوادث تجرى سراعا وقد جاء اختفاء دوبريك معجلا للأزمة التى تريدان تتجنبها . لذلك يجب العمل بكل سرعة للحصول على القائمة قبل ان يذاع مضمونها ، وانى اطلب اليك ياسيدى

ان تقدم لى معونتك الفعلية .

— اية معونة تطلب .

— اطلب ما لديك من معلومات عن المركيز البوفكس وسأحاول من جانبى ربط ما بين هذه المعلومات والحادث الذى نحن بصدده .

فظهرت على وجه براسفيل علامات التردد والتفت الى مدام مرجى سائلا فقالت له :

— اتوسل اليك ان تقبل خدمات مسيو نيكول .. انه سيكون لك مساعدا قيما فضلا عن كونه صديقا مخلصا ...

فالتفت براسفيل الى الاستاذ وسأله :

— اية معلومات تريد ياسيدى .

— اريد الوقوف على كل ماله علاقة بالمركيز البوفكس .. حياته العائلية وعلاقاته واعماله واملاكه فى باريس او فى الارياف .

— فى اعتقادى انه مهما يكن من امر المعتدى فانه يعمل فى مصلحتنا لأن حصوله على القائمة يجرد دوبريك من سلاحه .

— ومن قال لك ياسيدى السكرتير انه لا يعمل لمصلحته الشخصية ،

— هذا مستحيل مادام اسمه مسجلا فى القائمة كما ذكرت .

— واذا محاه ووجدت نفسك من جديد امام محتال آخر اشد لؤما واعظم دهاء من الاول .

فالجم هذا الجواب براسفيل الذى مالبث ان قال بعد لحظة تفكير :

— ارجو ان تحضر لمقابلتى غدا فى الساعة الرابعة فى مكتبى بادارة البوليس

سازودك بكل المعلومات الضرورية فها هو عنوانك لأتصل بك عند الحاجة

— ٢٥ شارع كليشي . انى مقيم عند احد اصدقائي :

وانتهى الحديث عند هذا واستأذنت مدام مرجى وصاحبها فى الانصراف وما كادا يصلان الى الخارج حتى فرك الاستاذ نيكول كفيه سرورا وقال :

— هو ذا عمل عظيم الشأن سيتيح لى من الآن اختلف الى ادارة البوليس بحرية .

ولكن مدام مرجى هزت رأسها بحزن وتشاؤم وقالت :

— واأسفاه ! هل نصل فى الوقت المناسب ، ان كل ماأخشاه هو أن تكون القائمة اعدمت .

— ومن ذا الذى يعدمها ؟ دوبريك ؟

— كلا ، بل المركيز بمجرد حصوله عليها .

— لكنه لم يحصل عليها بعد ان دوبريك سيقاوم وانا واثق من اننا سنصل فى الوقت المناسب ولكن اهم من ذلك كله ان براسفيل اصبح منذ الآن فى جعبتى :

— واذا كشف امرك .. واثبتت تحرياته ان مسيو نيكول لاوجود له فى العالم .

— لكنه لن يثبت ان الأستاذ نيكول وأرسين لوبين هما شخص واحد .. ومع ذلك فيجب أن تطمئن فان براسفيل الذى هو آخر

من يصلح لأن يكون من رجال البوليس . لا يهمه غير أمر واحد ، هو أن ينسف صديقه القديم دوبريك .

وقد وضعت كلاريس ثقتها فى لوبين . فكان يبدو لها المستقبل أقل ظلاما واعتقدت فى نجاة جلبرت ، إلا أنها لم تقبل العودة إلى بريتون. وآثرت أن تكافح إلى جانب صديقها لأنها تريد أن تشاطره جميع آماله وجميع آلامه .

وفى اليوم التالى أيدت البيانات المحفوظة بادارة البوليس ماتكهن به لوبين ، فقد كان المركيز ألبوفكس رجلا تحوم حوله شبهة قوية بأنه أحد الذين تلوثوا بالأوحال فى حادث القنال . وكان مركزه المالي سيئا فهو لا يستطيع المضى فى حياة الأبهة والبذخ إلا بفضل ما يستعين به من قروض وما يلجأ إليه من ضروب النصب والاحتيال ، وأما فيما يختص باختطاف دوبريك فقد ثبت ان المركيز ألبوفكس لم ير فى النادى يوم الاختطاف خلافا للعادة ولم يتناول طعام العشاء فى منزله بل عاد إليه حول منتصف الليل .

وقد انتعشت آمال لوبين حين وقف على هذه الحقائق وقرر ان يعتمد على نفسه فى مراقبة المركيز للوقوف على المكان الذى اخفى فيه دوبريك وفى احد الأيام ، قصد المركيز إلى قصر الدوق دى مونتمور بينما كان رجال الدوق فى شغل فى الخارج بالصيد فى غابة (دورلاين) .

ولما انتهى لوبين الى براسفيل نبأ هذه الزيارة قال الأخير :

— ليس من المعقول ان يكون ذلك الرجل النزى الدوق دى مونتمور الذى لايشغل الا بصيده وأراضيه ولا يهتم بالشؤون السياسية قد قبل أن يجلس النائب دوبريك فى قصره .

وأمن لوبين على هذا الرأى ولكنه لم يكن يريد أن يترك شيئا للمصادفات. وقد حدث فى أيام الأسبوع التالى انه رأى البوفكس يبرح منزله وهو فى ثياب الصيد . فتعقبه وركب ذات القطار الذى استقله المركيز . وترك المركيز القطار فى محطة (أومال) وركب عربة ذهبت به الى قصر الدوق دى مونتمور أما لوبين فانه تناول طعام افطاره من (أومال) ثم استأجر عجلة ذهب بها الى حيث أصبح على مقربة من القصر وهناك رأى كثيرين من النبلاء الذين دعاهم الدوق للصيد والقنص فى أملاكه. فأدرك ان المركيز ليس الامدعواً عاديا من المدعوين .

وعاد لوبين الى باريس فى المساء وانفذ لوبالو فى اليوم التالى الى قصر مونتمور .

وبعد ظهر ذلك اليوم تلقى من لوبالو قائمة بجميع اسماء المدعوين وخدم قصر مونتمور وحراسه ، فلفت نظره بنوع خاص اسم من بين اسماء الخدم فأبرق الى لوبالو فى الحال قائلا :

«استعلم عن المدعو سباسقيانى»

وقد أوضح لوبين لكلاريس سرحى غرضه من هذه البرقية فقال :

— هذه خطوة لابأس بها . لأن هذا الاسم . «سبستيانى» يدل على أن صاحبه كورسيكى كذلك . وهذا امر له دلالة

— وما غرضك اذن ؟

— غرضي اذا كان دوبريك سجينا فى قصر الدوق أن أدخل معه فى مفاوضات .

— وإذا صدك .

— لقد افلحت فى الأيام الأخيرة فى اكتشاف حقيقة السيدتين العجوزتين اللتين اختطفتا ولدك جاك فى سان جرمان واللتين أعادتاه فى مساء اليوم ذاته . انهما آنستان عانستان ، ابنتاعم دوبريك ، وهو يجرى عليهما مرتبا شهريا وقد زرت هاتين الآنستين وأحرزت ثقتهما ووعدتهما بأن اكتشف مقر ابن عمهما وولى نعمتهما دوبريك وقد سلمتنى كبراهما خطابا توسلت فيه الى دوبريك لمصلحته أن يلتزم طاعتى ويضع نفسه تحت تصرفى . تلك هى الاحتياطات التى اتخذتها .. وسأسافر هذه الليلة .

قالت كلاريس : نسافر معا اذن .

والحفت .. فلم يسعه الا النزول على رغبتها واصطحبها معه فى السيارة ورافقهما جرونيار .

وقد اختار لوبين لاقامة كلاريس بلدة (امبان) الآهلة بالسكان والتى تبعد عن مونتمور نحو ثلاثين كيلومترا .. وذلك لكيلا يلفت وجودها معه الانظار .

وفى مساء ذلك اليوم تقابل لوبين ولوبالو على مقربة من القلعة القديمة التى تعرف فى تلك المنطقة باسم قلعة مونتنيير

قال له لوبالو : إن سيبستيانى هو مروض جياد الدوق وهو يقيم مع
زوجته فى خيمة وسط انقاض القلعة القديمة وعلمت أن له ثلاثة أولاد
جميعهم فى شرخ الشباب ، وقد قيل لى انهم سافروا .. وكان سفرهم
المزعوم فى ذات اليوم الذى اختطف فيه دوبريك

فقال لوبين :

ـ هذا توافق عجيب لا يصح اغفاله .. ومن المحتمل جدا أن
يكون هؤلاء الأبطال ووالدهم هم الذين قاموا باختطاف دوبريك .

وعندما اقبل المساء رأى لوبين ثغرة فى الجدار القائم بين برجى
القلعة ساعدته على تسلقه وتمكن بذلك من رؤية خيمة المروض وانقاض
الحصن القديم .. وبقايا جدار كان يختفى وراءه مدخنة ..

وابصر لوبين طريقا يؤدى الى المرتفعات الصخرية ، وعلى أحد
طرفى هذا الطريق آثار برج هائل تهدم جميعه حتى كاد يصبح فى
مستوى الأرض .

عاد لوبين فى المساء إلى كلاربس مرجى وأخذ يذرع المسافة بين
امبان وموتتيبرجيث وإيابا تاركا لجرونيار ولوبالو مهمة المراقبة الدائمة

وانقضت أيام كانت تصرفات سيبستيانى فى خلالها عادية مطابقة
لمقتضيات وظيفته . فكان يذهب الى قصر موتتمور ويتنزه فى الغابة ،
وكان عليه أن ينظف حظائر الجياد ويقوم ليلا بالحراسة .

وفى اليوم السابع علم لوبين ان المركيز البوفكس سيخرج للصيد
ورأى ان مركبة انطلقت فى الصباح الى محطة (أومال)

وفى الساعة الثانية سمع نباح الكلاب وكانت تحدث جلبة شديدة
وهى منطلقة نحو الغابة فى رفقة الصائدين . ولما اقبل المساء سمع لوبين
فجأة فى السكون الذى خيم على تلك المنطقة خبب جوادين يقتربان وبعد
دقائق رأى فارسين يسيران فى الطريق الى نهر (الليجيه) .

كان هذان الفارسان هما المركيز البوفكس وسيبستيان . ولما بلغا الى
خيمة الثاني استقبلتهما زوجة المروض وشد سيبستيانى اللجمة الجوادين
بحلقة فى عمود حجرى على بعد ثلاث خطوات من المكان الذى اختبأ فيه
لوبين ثم أسرع ليلحق بالمركيز ، ودخلا معا الخيمة .

وبعد لحظة ابصر لوبين بالرجلين وزوجة سيبستيانى وهم يعجلون
الخطى فى طريق البرج القديم . وازاح المروض ستارا من النبات الطفيلي
فكشف عن مدخل مؤد الى درج فى البرج لم يلبث أن نزل منه هو
والبوفكس وتركا الزوجة فى الخارج لتقوم بمهمة الحراسة .

ولم ير لوبين من الحكمة ان يلحق بهما بل عاد الى مخبئه ولم يلبث
طويلا حتى راى المركيز البوفكس يخرج من البرج وهو حانق
مغضب يضرب بسوطه حذاءه ويتمتم بكلمات تبين منها لوبين هذه
الألفاظ : « آه !.. سأرغم هذا الشقى .. هذا المساء .. اتسمع
يا سيبستياني هذا المساء في الساعة العاشرة . . سأعود الى هنا.. وأعرف
ماسوف اصنع بهذا الحيوان ! »

وأخذ سيبستيانى فى حل أعنه الخيل بينما كان البوفكس يقول
لزوجة المروض : ليقم اولادك جيدا بالحراسة . وإذا حاول أحد أن

ينقذه . فالفخ هنا ، هل استطيع ان اعتمد على أولادك ؟!

فقال المروض مؤكدا : اعتمد عليهم كما تعتمد على والدهم ياسيدى المركيز. انهم يعرفون ما صنع سيدى المركيز من اجلى وما يريد ان يصنع من اجلهم ، انهم لن يتراجعوا امام اية عقبة .

قال البوفكس : لنذهب الي الصيد اذن.

وهكذا كانت الأمور تجرى كما تخيلها لوبين .

وقد قابل لوبين مدام مرجى فى احد فنادق اميان وحدثها بما كان وختم حديثه بقوله :

ـ هذا ماوصلنا اليه من المعلومات ، وفى الساعة العاشرة من هذا المساء سيعود المركيز الى دوبريك ليعتصر سره من جديد وسيكون استجوابه وحشيا ولكن لامفر من ذلك ، لقد كان بودى ان اباشر هذه المهمة بنفسى .

قالت كلاريس مضطربة : ترى هل يبوح دوبريك بسره ؟

ـ هذا ما اخشاه ، لهذا اتردد بين خطتين ، فاما أن امنع هذه المقابلة بان اسبق البوفكس اذ نقتحم القلعة متسلقين البرج انا وجروديار ولوبالو ، وإما ان احضر المقابلة، فاذا اصر دوبريك على التزام الصمت كان لدينا الوقت الكافى لأنقاذه مقابل شروط مناسبة وإذا تكلم وذكر الموضع الذى توجد فيه قاعة السبعة والعشرين فأكون قد عرفت الحقيقة فى آن واحد مع البوفكس ، فاسبقه الى الافادة منها .

وعندما انصرف لوبين من الفندق وجد لوبالو فى انتظاره فسأله:

ـ هل احضرت الكتاب ؟

ـ نعم ، لقد ابتعته بعشرة فرنكات .

وقدم اليه كتابا عنوانه (زيارة لمونتنيير فى عام ١٨٢٤) وكان الكتاب محلي بالصور والخرائط وهو شرح واف لمخابىء القلعة القديمة وخفاياها .

الفصل الثالث

غرفة التعذيب

استعان لوبين بما جاء فى الكتاب من أوصاف وما كان ملحقا به من رسوم توضح الطرق المؤدية إلى مدخل القلعة وأبراجها ومنافذها وسراديبها ، وأسرارها وخفاياها وراح يشق طريقه متذرعا بالشجاعة والصبر والحيلة والذكاء .

ولاقى فى سبيل الوصول إلى غايته أهوالا ومتاعب لم تكن تخطر له ببال حتى انه فكر غير مرة أثناء صعوده إلى البرج أن يعدل عن مشروعه ويقفل راجعا لولا أنه تذكر أن الغرض الذى يرمى اليه جدير بتجشم كل مشقة .

وكان قد قرأ فى الكتاب أنه توجد فى أحد أبراج القلعة غرفة معدة للتعذيب يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى فأدرك من فوره أن هذه الغرفة هى التى حبس فيها دوبريك . وعلى ضوء الخريطة أخذ يضرب فى مجاهل القلعة حتى أبصر فجأة فتحة واسعة مستديرة محفورة

في الصخر على شكل ممر طوله ثلاثة أمتار إلا أنها كانت تضيق كلما توغل الانسان في داخلها ، وكانت تغلق عند نهاية الممر بثلاثة قضبان حديدية .

وتمكن لوبين أخيرا من الانسلال في هذا الممر الصخري العجيب حتى لامست رأسه القضبان الحديدية والتي نفسه فجأة على مسافة خمسة أمتار من غرفة التعذيب التي ينتهي عندها الممر ورأى بعيني رأسه كل شيء .

رأى دوبريك ملقى على فراش قديم حقير وهو مشدود الوثاق بسلاسل قوية . وقد لفت حول ساقه ويديه سيور من الجلد علقت في الجدار بواسطة حلقات من الحديد . وركبت بعض الآلات بطريقة خاصة حتى إذا أتي دوبريك بحركة دق جرس معلق على عمود مجاور

ورأى لوبين المركيز واقفا بجانب الفراش . ولاحظ انه شاحب متعب لكنه كان ينظر إلى سجينه في شماتة .

ساد السكون لحظة ثم قال المركيز بلهجة الأمر محدثا سبستياني:

ــ اضيء هذه المشاعل الثلاثة لكي أراه جيدا .

ولما اضيئت المشاعل حملق في وجه دوبريك وقال له بصوت خافت:

ــ لست اعلم ما كتب لي في لوح القدر ولكني سأذكر مدى الحياة اني نعمت في هذه الغرفة ببعض لحظات من السعادة . لقد آذيتني يادوبريك ايذاء شديدا ، واذللتني وسلبتني ثروتي . كل ثروتي حتى اصبحت على الحضيض .

ولكن كنت اخاف ان تفضح امرى . لأن اعلان اسمى هو تتمة الخراب والعار ، آه أيها الوغد .

فلم يبد دوبريك حراكا .. واستطرد البوفكس قائلا :

ــ هيا ، يجب ان تنتهي ، اذ يخيل لي ان بعض الأوغاد يحومون حول المدينة ، فاذا كانوا يعملون لحسابك فالويل لك . انك تعرف الخاتمة . . وهي هلاكك المحتم ، سبستياني ، هل أصلحت باب الهاوية

فجثا سبستياني على احدى ركبتيه ورفع بيده حلقة حديدية عند قاعدة الفراش وكشف عن هوة عميقة مظلمة .

قال المركيز محدثا دوبريك

ــ اترى كيف اعددت العدة للتنكيل بك وتعذيبك والقضاء عليك ؟

فلزم دوبريك الصمت واستطرد المركيز قائلا :

ــ هذه هي المرة الأخيرة التي أسألك فيها عن موضع قائمة السبعة والعشرين . اريد ان اتخلص من تهديداتك وشعوذتك . ولذلك اسألك الآن للمرة الأخيرة أين هذه القائمة ؟

وظل دوبريك صامتا كعادته ، فأشار البوفكس إلى المروض فتقدم يتبعه اثنان من اولاده ، وكان أحدهما ممسكا بعصاه . فوضع سبستياني العصا بين السيور الجلدية ويد دوبريك وسأل :

ــ هل ادير الآلة يا سيدي المركيز ؟

ولكن المركيز آثر الانتظار برهة كان يرجو فيها ان يتكلم دوبريك ثم صاح :

تكلم إذن .. لماذا تعرض نفسك لهذا العذاب ؟
فالتزم دوبريك الصمت وقال المركيز :
ـــ ادر الآلة يا سبستياني .
فشد سبستياني العصا إلى السيور شدا وثيقا بواسطة حلقات حديدية . ثم ادار لولبا فتحركت الآلة وضغطت الهراوة بقوة على يدى دوبريك فأفلتت من فم هذا الأخير أنة ضعيفة ولكنه لم يتكلم .
قال المركيز : أدر الآلة مرة اخرى يا سبستياني .
فأطاع المرؤوس وادار اللولب دورة ثانية . فقفز دوبريك من الألم وسقط على فراشه وهو يئن متوجعا ، فقال المركيز وهو يرتجف غضبا :
ـــ الا تتكلم ايها الغر ؟ الا تذكر اين هذه القائمة ؟ قل .!. اين هي ؟.. قل كلمة واحدة . وانا اعفيك من هذا العذاب .. ومتى حصلت على القائمة غدا أطلقت سراحك ! .. تكلم ؟ .. سبستياني .. دورة اخرى .
وادار سبستياني اللولب فسمعت قرقعة عظام دوبريك ، وصرخ هذه المرة صرخة هائلة ، وقال بصوت متهدج من الألم : النجدة ! النجدة ! ثم تمتم بصوت ضعيف : الرحمة .. الرحمة .
كان مشهدا مروعا حز فى نفس لوبين فأغمض عينيه لحظة لكيلا يرى علامات الألم الجثماني الهائل التى ارتسمت على وجه دوبريك .
قال البوفكس : تكلم .. فينتهى كل شىء .

وتمتم دوبريك قائلا : نعم .. نعم .
ـــ قل إذن .. اين الوثيقة ؟
ـــ لقد .. خب .. أ .. ؟ .. ها ..
يبدو ان ألمه كان شديدا فرفع رأسه بعد جهد كبير وتمكن بصعوبة من ان ينطق مرتين بكلمة « مارى .. مارى .. » ثم اغمى عليه .
قال سبستياني :
ـــ هذا يكفى اليوم .. نستطيع ان نستأنف غدا .. او بعد غد ..
فقال المركيز :
ـــ غدا ؟ كلا . بل الآن .. لنبذل جهدا آخر .
ثم انتحى بسبستياني ناحية وقال له :
ـــ هل سمعته ؟ ماذا كان يعنى بقوله (مارى ! . مارى !) .
ـــ ربما عهد بالوثيقة التى تطلبها الى آنسة او سيدة تدعى مارى .
ـــ مستحيل ! . انه لا يأتمن انسانا على شىء .. لا ريب انه يعنى شيئا آخر .
وفى هذه اللحظة تنهد دوبريك وتحرك فى فراشه فقال له المركيز :
ـ أرأيت يا دوبريك ؟ . من الجنون ان تقاوم فى مثل هذا الموقف عندما يكون الانسان مغلوبا فعليه ان يخضع لحكم الغالب بدلا من ان يعذب نفسه بحماقة كما تفعل انت الآن . . هيا . كن عاقلا وتكلم .

والتفت إلى سبستياني وقال : أدر اللولب ليفيق لأنه يصطنع الموت.
فأدار سبستياني اللولب . وقفز دوبريك من الألم .. ثم تحركت شفتاه .. وتمتم كلاما .

إنحنى المركيز وسبستياني فوقه وراحا ينصتان إليه . وشرع هو يتكلم بصوت خافت لم يسمعه لوبين :

ولما كف دوبريك عن الكلام قال المركيز :

ـــ حسنا .. شكرا لك يا دوبريك .. إنني لن انسى هذا الجميل فاذا عضتك الحاجة يوما بنابها ، فاعلم ان بابي يبقى مفتوح لك على مصراعية وانك ستجد فيه دائما قطعة من الخبز وقدحا من الماء البارد

ثم أمر سبستيان بحل وثاق دوبريك وحراسته .

وقال لهذا الأخير :

ـــ لا تخف . سأذهب إلى منزلك غدا .. فاذا وجدت الوثيقة في المكان الذي عينته أرسلت برقية في الحال لاطلاق سراحك ، ارجو الا تكون كاذبا ، لئن كذبت على فانني سأخسر يوما واحدا ، اما انت فستخسر ما بقي لك من من ايام حياتك ، وداعا يادوبريك

ثم خرج بصحبه سبستياني ، واغلق الباب خلفه .

« ٥ »

كان هم لوبين الوحيد ان يمنع البوفكس من الحصول على الوثيقة.
ففكر اولا في ان يهاجم هو وسبستياني في الطريق ويعتقلها ويعتل بها حتى يبوح احدها بالسر الذي ارغم دوبريك على الاعتراف به ولكنه

بعد تفكير طويل لم يرتح الى هذا المشروع وقال لنفسه :

ـ من ذا الذي يضمن لي انها لايفلحان في الهرب مني ، ومن ذا الذي يضمن لي ان يتكلما ؟

وفكر في ان خير وسيلة هي ان ينتزع السر من دوبريك وقال لنفسه « اما إذا افلح فأعود الى باريس واخطر براسفيل بالأمر وعند ذلك يحاط منزل دوبريك برقابة شديدة تحول دون دخول البوفكس أو أي انسان آخر اليه »

ولما إستقر لوبين على هذا الرأي صمم على البقاء في مكانه في انتظار ان تسنح فرصة مناسبة للعمل .

ودقت ساعة كنيسة القرية واحدة بعد منتصف الليل وكان الانتظار رهيبا والبرد شديدا فارتجف لوبين في مكانه .

وسمع من بعيد خبب جواد فقال لنفسه : ها هو سبستياني قد عاد .

وكان احد ابناء سبستياني المكلف بالحراسة قد افرغ مافي غليونه من تبغ وفتح الباب وخرج ليسأل أحد أخويه عما إذا كان لديه شيء من التبغ . غير ان الباب ما كاد يقفل حتى نهض دوبريك من مكانه بعد ان كان مستغرقا في النوم وتربع على فراشه ثم انصت ، واخيراً وضع احد قدميه على الأرض ثم وقف واخذ يحرك ساعديه وعضلاته

وهنا تذكر لوبين الخطاب الذي زودته به ابنة عم دوبريك فأخرجه من جيبه والقاه اليه من بين القضبان الحديدية .

فدهش دوبريك ولكنه تناول الخطاب ولما رأى الأمضاء

تنفس الصعداء وشعر بسرور عظيم انساه كل ما لقى من آلام واوجاع واخذ يقرأ الخطاب بصوت ضعيف وهذا نصه :

« ثق ثقة تامة بحامل هذه الرسالة ، انه الذى استطاع ان يكتشف سر المركيز والخطة التى دبرت لاختطافك ، كل شيء معد لهروبك »

ابنة عمك

« ايفرازى روسلو »

ولما فرغ من تلاوة الخطاب ، اقترب لوبين من القضبان الحديدية وهمس :

ـ انى بحاجة الى ساعتين او ثلاث لأتمكن من نشر احد هذه القضبان فهل سيعود سبتيانى واولاده الآن ؟

ـ طبعا ، ولكنى اظن انهم سيتركوننى .

ـ هل ينامون بالقرب منك ؟

ـ ان الباب الذى بينى وبينهم ضخم جدا وليس فى استطاعتهم ان يسمعوا شيئاً .

ـ اذن سأبذل غاية جهدى ، عندى سلم من الحبال فهل تستطيع ان تتعلق به دون مساعدتى ؟

ـ اظن ، سأحاول ، لكن يدى ضعيفتان .. لقد حطموا عظامى .

« ٥ »

وشرع لوبين فى معالجة أحد القضبان الحديدية بمبرد حاد قوى كان قد جاء به ومن حسن الحظ أن القضبان كانت قد علاها طبقة سميكة

من الصدأ فكانت فى بعض مواضعها ضعيفة للغاية وقابلة للالتواء ..

وأخذ لوبين يعمل بمبرده ودوبريك يشجعه وينصت باهتمام لكى يخطره عند حدوث أية حركة .

واخيراً فرغ لوبين من عمله وضغط بكل جسمه على القضيب الحديدى فانثنى وأحدث فراغا يسمح بمرور رجل .

سأل دوبريك : هل أنت على إستعداد ؟

ـ نعم .. هأنذا .

وأنصت فلم يسمع صوتا فاستطرد قائلا :

ـ جميعهم نيام . ناولنى السلم .

فألقى اليه لوبين بالحبل وقال :

ـ هل انصرف ؟

ـ كلا ، انى ضعيف ، واحتاج إلى مساعدة ، وقد تضطر إلى ان تحملنى ، فهل نحن على ارتفاع عظيم ؟

ـ نحن على ارتفاع خمسين مترا على الأقل .

واعد لوبين الحبل لنزولهما فقال دوبريك :

ـ أليس من الأصوب ان امر قبلك .

ـ لماذا ؟

ـ لأنى متعب ، ينبغي لك ان تشدني إلى الحبل وأن تمسك بي حتى لاأسقط

ـ الحق معك ، ادن منى .

فاقترب منه دوبريك ووضع ركبته على الصخر ليمنع نفسه من السقوط فربطه لوبين ثم انحنى وامسك بالحبل بيديه ليحول دون اهتزازه ثم قال :

ـ هلم بنا .

ولكنه شعر فجاة بألم هائل فى كتفه فصاح :

ـ تبالك ايها الشقى .

ذلك لأن دوبريك كان قد عاجله بطعنة سكين فى مؤخرة عنقه .

وحاول لوبين أن يتماسك فخانته قواه وهوى على الأرض .

قال دوبريك وهو يتخلص من الحبل :

ـ أيها الأبله ! . لقد أحضرت إلى خطابا من ابنة عمى روسلو ، وقد ظننت أن هذه الحيلة تجوز على ، لقد فكرت فى الأمر قليلا ، فأدركت أنك أرسين لوبين ظهير كلاريس ومنقذ جلبرت ، أيها المسكين لوبين أنك خسرت الصفقة هذه المرة أيضاً وفشلت محاولاتك . انى لا اضرب كثيرا ولكنى اذا ضربت اصبت مقتلا .

وانحنى على الجريح وفتش جيوبه وهو يقول :

ـ اعطنى مسدسك ، اذا كان شركاؤك فى انتظارك الآن فسيعرفون انى لست رئيسهم وسيحاولون القبض على ، وبما انى ضعيف ولا استطيع المقاومة فان رصاصة او اثنين تكفلان لى النجاة من بين ايديهم . . الوداع يالوبين . سألحق الآن بالبوفكس فانه يسرنى ان يقع من جديد تحت يدى . وسأجعل هذا الكلب يدفع غاليا ثمن مافرط منه .

الفصل الرابع

فى الظلام

لزم لوبين الفراش عقب الحادث الذى وقع له . وكان يهمه ان تلتئم جراحه بسرعة اذ كان موعد تنفيذ الحكم فى جلبرت وفوشيرى قد اقترب .

اما كلاريس فكان اضطرابها يزداد يوما بعد يوم لأن أملها فى نجاة ابنها كان يضعف بالتدريج .

وفى صباح أحد الأيام جاءته كلاريس وكانت شاحبة الوجه خائرة القوى محطمة الاعصاب وكانت عيناها حمراوين من آثار الدموع فقالت تحدث لوبين :

ـ لقد ايدت محكمة النقض حكم الاعدام منذ ثمانية ايام ، ولكن لوبالو اخفى عنى هذه الحقيقة ، وقد قصدت إلى محاميه وانبأته باننى والدة جلبرت وسألته عما اذا كان من الممكن ـ اذا اعلنت اسم ولدى الحقيقى وصلته بى وظروف حياته ـ ان يساعد ذلك فى تخفيف الحكم او تأجيله . .

ـ اتريدين التصريح علانية بانه ولدك ؟

ـ نعم ، ان حياة جلبرت هى عندى اثمن من كل شىء ، ماذا يهمنى اسمى او اسم زوجى ؟

ـ ولكن فكرى فى صغيرك ، اتريدين ان يعرف عنه انه شقيق مجرم حكم عليه بالاعدام ؟ وبماذا اجابك المحامى ؟

— اجاب ان ذلك لا يفيد جلبرت شيئا ، وان لجنة الرأفة ستقرر تنفيذ الحكم لا محالة.

— ولكن لا تزال هناك رئيس الجمهورية ومن حقه ان يعفو عن المحكوم عليهم بالاعدام .

— انه يوافق دائما على رأى اللجنة .

— لكنه لن يوافق هذه المرة .

— كيف ؟

— بالمساومة على قائمة السبعة والعشرين التى تؤدى إذاعتها الى فضيحة تهتز لها فرنسا من أقصاها إلى أقصاها . فضيحة تلوث بأوحالها اظهر رجال الدوله وابرزهم فى عيون الشعب .

— ولكن هل حصلت على القائمة ؟

— كلا ، ولكنى سأحصل عليها حتما ، انا واثق مما اقول .

فنظرت إليه فى هذه المرة نظرة تنم عن عدم الثقة ولكن لوبين أكد لها بلهجة الواثق من نفسه بأن الوثيقة لن تفلت من يده . فقالت كلاريس :

— إذا لم يكن البوفكس قد تمكن حتى الآن من سرقة القائمة فان هناك شخصا واحداً يستطيع ان ينقذ ولدى .. وهذا الشخص هو دوبريك نفسه .. إنى ..

وادرك لوبين ان كلاريس قد عولت فى حالة اليأس ان تخضع لدوبريك وان تدفع له الثمن الذى يريده مقابل انقاذ ولدها ..

فقال لها :

— ولكنك اقسمت لى الا تقابلي هذا الرجل .. والا تكون لك صلة به بعد الآن ؟

— اننى على كل حال لا اعرف اين هو الآن ؟

— ايعلم احد إذن مصيره ؟

— لا بد انه قصد الى إحدى المدن للاستشفاء .

— كلا انا ، واثقة من ذلك .

— وهل قابلت براسفيل ؟

— لقد سافر فى اجازة ، ولكن بلانشلاز المفتش العام الذى انيطت به هذه القضية وكذلك رجال البوليس يقولون ان براسفيل اكد لهم ان حراسة منزل دوبريك كانت فى غاية الدقة . وان احدا لم يتمكن من دخوله .

— إذا كان الأمر كذلك فلا ريب ان السدادة البلورية لا تزال موجودة فى مكتب دوبريك .

— إذا كان قد تركها فى مكتبه قبل إختفائه فلا بد انها لا تزال به الآن.

— ثقى إذن اننا سنصل إلى ما نريد فى خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر فاذهبي انت وجروتيار ولوبالو إلى باريس واقيموا هناك فى فندق فرانكلين على مقربة من تروكاديرو وراقبوا منزل دوبريك.

« ٠ »

وفى اليوم التالى لم يتمكن لوبين من الخروج لشعوره بالضعف .
وقد وردت إليه فى ذلك اليوم برقية من كلاريس تقول فيها :

« لقد وقعت على أثر دوبريك »

وقرأ فى صحف المساء نبأ القبض على المركيز البوفكس لتواطئه فى مشروع القنال . فأنعش هذا النبأ موات آماله .

قال لنفسه : إذا كان دوبريك قد انتقم من المركيز بالتبليغ عنه كرتش فى قضية القنال فمعنى ذلك أن قائمة السبعة والعشرين لا تزال فى حوزته . وبما ان المراقبة على بيته كانت شديدة فمعنى ذلك ان السدادة لا تزال فى موضعها بمكتبه .

وعلل لوبين عدم عودة دوبريك إلى منزله بأحد أسباب ثلاثة ، إما أنه يخاف العودة إلى منزله إشفاقا من كمين .. أو مكيدة دبرها له راسفيل وإما أن حالته الصحية منعته من ذلك ، وأخيرا أنه ربما كان مطمئنا إلى المخبأ الامين الذى اخفى فيه السدادة فلم ير ضرورة للعودة الى منزله .

وفى اليوم التالى قصد لوبين بسيارته إلى باريس وانتهى إلى مكان قد عينه لجروتيار ولوبالو وكلاريس . ورأى فى انتظاره جروتيار ولوبالو فقط اما كلاريس فقد علم منهما أنها رأت دوبريك خارجا من منزل ابنة عمه فسجلت رقم السيارة وذهبت تواصل تحرياتها وستتصل بهما فيما بعد فقال : أليست هناك أنباء أخرى ؟

ـ نعم . لقد نشرت صحيفة (بارى ميدى) ان البوفكس مزق

شرايينه بقطعة من زجاج أثناء وجوده فى السجن ، وتقول انه ترك خطابا يقر فيه بأثمه ويذكر تفصيلات الدور الذى لعبه دوبريك فى حادث القنال ، كذلك نشرت الجريدة آخر انباء قضية جلبرت وفوشيرى فقالت ان لجنة الرأفة رفضت تخفيف الحكم وان رئيس الجمهورية سيسمح لمحاميها بمقابلته بعد يومين على الأكثر .

فذعر لوبين لهذا النبأ ، لأن رفض طلب الرأفة معناه تنفيذ الحكم فى جلبرت بعد اسبوع مالم يستطع هو ـ أى لوبين ـ الحصول على القائمة .

وقد لاحظ عليه جروتيار ولوبالو علامات الجزع والذعر فقال اولهما:

ـ هل فقدت شجاعتك ايها الرئيس .

ـ كلا ، فانى مكنى ان أحصل على السدادة البلورية قبل انقضاء ساعة ، وبعد ساعتين اكون عند محامى جلبرت فينتهى كل شيء بسلام والآن عودا الى الفندق وسألحق بكما .

وقصد لوبين منفرداً الى منزل دوبريك ، فاستقبله المسيو بلانشون بحفاوة قائلا له :

ـ ان لدى امرا يااستاذ نيكول بان اضع نفسي فى خدمتك ، وانى لسعيد جدا إذ اراك اليوم .

ـ لماذا ؟ ـ لقد حضر دوبريك .

فقفز لوبين من مكانه وصاح قائلا: ماذا تقول ؟ وهل هو هنا الآن ؟!

ـ كلا ... لقد خرج .

- وهل دخل غرفة المكتب ؟ — نعم .
- متى ؟ — هذا الصباح .
- ولم تمنعوه من ذلك ؟ — بأى حق !؟
- هل تركتموه وحيدا فى الغرفة ؟
- لقد أمر بذلك فأخلينا له الغرفة .

وهنا شعر لوبين بالدم يغيض من شرايينه وقال لنفسه : لقد عاد دوبريك وأخذ السدادة بلاشك .

سأل : وهل ظل طويلا فى الغرفة ؟

- كلا ٢٠ ثانية على الأكثر .
- ألم يصدر اليكم مسيو براسفيل أية تعليمات خاصة بعودة مسيو دوبريك ؟
- كلا . . .

قال لوبين لنفسه :

- مما لاشك فيه ان دوبريك قد عاد خصيصاً ليأخذ السدادة .

وقفل راجعا الى فندق فرانكلين حيث كان جرونيار ولوبالو فى انتظاره ، وسأل مدير الفندق عما اذا كان قد ورد خطاب باسمه فاجابه المدير سلبياً ، ولكنه علم منه ان مدام مرجى كانت قد حضرت الى الفندق ولما لم تجد صديقيه جرونيار ولوبالو تركت خطابا فى غرفتها وانصرفت فاسرع لوبين الى غرفة كلاريس ووجد الخطاب على الطاولة وكان مفتوحا فقرأ فيه ما يلى :

«قضى دوبريك الأسبوع الأخير فى فندق سنترال ونقل اليوم جميع أمتعته الى محطة « .. » وطلب بالتليفون ان يحجزوا له مكانا فى عربة النوم ليسافر « .. » الى ولست اعرف موعدقيام القطار ولكنى سأمكث طيلة بعد الظهر فى المحطة فتعالوا جميعاً باسرع ما يمكنكم لتدبير أمر اختطافه »

وقد ادهشهم انها لم تذكر اسم محطة القيام أو الوصول ، وظل لوبين صامتا لايفهم السر فى ذلك ، واخيراً أعمل فكره وقرر أنه لايمكن ان تكون مدام مرجى هى التى حذفت هذين الاسمين، وأنه لابد وان يكون دوبريك قد مر بالفندق ، فاطلعه الخادم على الخطاب فاكتفى بحذف الأسمين ، وادرك جليا من كل ذلك ان دوبريك هو الذى يراقب مدام كلاريس فى نفس الوقت الذى تعمل هى فيه على مراقبته .

وبعد تفكير طويل قرر لوبين الذهاب الى محطة ليون لأنه استنتج ان اعمال مسيو دوبريك وحالته الصحية واساليبه فى اللهو تدعوه فى الغالب الاتجاه ناحية مرسيليا لا ناحية شرق فرنسا .

فأسرعوا جميعاً الى تلك المحطة ، وكانت الساعة السابعة ، ولكنهم لم يجدوا كلاريس خارج المحطة أو داخلها بيد ان احد الحمالين مالبث ان اقترب منهم وسألهم عما إذا كان بينهم احد يدعى لوبالو ، فلما أجابوه بالايجاب أنبأهم بان سيدة قضت طيلة اليوم تنتظر على رصيف المحطة وانها سافرت بالقطار الفاخر الذى برح المحطة فى منتصف الساعة

السابعة وقالت له فى اللحظة الأخيرة ان السيد الذى يعرفونه موجود بذلك القطار وان وجهتها مونت كارلو ..

ولم يبق بعد ذلك إلا قطار المساء السريع الذى يبرح المحطة فى منتصف الساعة العاشرة فاحتجزوا فيه أماكنهم واتصلوا بمدير فندق فرانسكلين ليحول اليهم ما يرد باسمائهم من الرسائل الى فندق مونت كارلو .

وقد ظل لوبين طول الليل يساوره القلق إذ كان يخشى ان يكون دوبريك قد عمد الي التضليل فانتزع قائمة السبعة والعشرين من السدادة البلورية واختار لها مخبأ آخر كما خشى أن يكون دوبريك قد فكر فى هذه الرحلة لتتبع كلاريس فيبتعد بها ولاتصل اليها النجدة إذا استنجدت وكان أهم ما أقلقه ان تكون كلاريس قد قررت الاستسلام له لتنقذ ولدها .

وقد وصلوا الي مونت كارلو فى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالي ولكنهم لم يجدوا أحدا فى انتظارهم . وترددوا على جميع الفنادق فلم يعثروا على اثر لا لدوبريك أو لكلاريس.

وفى اليوم التالى تسلموا من شباك البريد برقية من كلاريس كانت قد ارسلت الى فندق فرانسكلين فحولها رئيس الفندق اليهم فى مونت كارلو وقد قرأوا فى هذه البرقية ان دوبريك نزل فى مدينة (كان) ثم غادرها الى (سان ريمو) وانه يقيم فى فندق (السفراء) فرحلوا فى أول قطار يقصد الي إيطاليا وبلغوا محطة (سان ريمو) فى الساعة

الواحدة بعد الظهر ؛ وهناك رأوا حمالا قد كتب على قبعته (فندق السفراء) .

وكان يبدو على الحمال انه يبحث عن بعض القادمين بذلك القطار فاقترب منه لوبين وسأله قائلا :

— تبحث عن مسيو لوبالو . أليس كذلك ؟

فأجاب الحمال بانه يبحث عنه ، وعن شخصين آخرين ، وفهموا منه ان مدام مرجى لم تترك القطار فى تلك المحطة ، وانها قدمت اليه أوصافهم وأوصته بان يخبرهم بانها ذهبت مع السيد الذى يعرفونه الى (جنوه) وانها ستنزل فى فندق كونتيننتال ، فابتاعوا التذاكر وركبوا القطار .

بيد ان لوبين كان فى اشد القلق إذ لم يبق إلا يومان على تنفيذ الحكم فى جلبرت فاذا لم يستطع الحصول الليلة على تلك القائمة هلك جلبرت لا محالة .

وخطر له ان يترك القطار ليضع خطة جديدة تكون اقرب إلى التنفيذ ولكن شريكيه منعاه من ذلك .

الفصل الخامس

علبة التبغ

نزلت مدام مرجى فى فندق الكونتيننتال وهو فندق بديع يقع على احد التلال التي تشرف على مدينة (نيس) واتخذت لها مقاما الغرفة رقم ١٣٠ وهى مجاورة للغرفة رقم ١٢٩ التى نزل فيها دوبريك

ولا يفصلها عنها سوى باب مزدوج .

ولما خرج دوبريك انتهزت مدام مرجى هذه الفرصة واقتربت من باب غرفته فألفته مغلقا بالمفتاح فعادت إلى غرفتها . وفى صباح اليوم التالى وهو يوم الأحد خرج دوبريك واهمل المفتاح فى الباب فدخلت كلاريس غرفته وكان همها الوحيد ان تعثر على السدادة البللورية ، فأخذت تبحث فى حقائب السفر وفى الدواليب والأدراج . وإنها تفعل ذلك إذا بالباب يفتح ويدخل منه دوبريك .

كان دخوله مفاجأة مزعجة اصفر له وجه كلاريس ، ولم تقو قدماها على حملها فتهالكت على احد المقاعد .

قال لها دوبريك: لقد اخطأت . . ليس هنا .. اتريدين ان اساعدك ، لا يوجد شيء يستحق الذكر فى هذه الطاولة .. هل لك فى بعض اصناف الفاكهة ؟ . لقد اعددت لك الكثير منها ، لاتريدين؟! لقد كنت متوقعا زيارتك ولذلك امرت بان يكون الغداء لشخصين،

فلم تحر كلاريس جوابا.

ودق دوبريك الجرس فحضر إليه خادم الفندق وطلب منه أن يأتى بالطعام ففعل . لكن كلاريس رفضت أن تتناول منه شيئا فلم يأبه دوبريك بذلك وأكل وحده . وكان يقول لها وهو يلتهم الطعام التهاما إنه كان يعلم أنها تقتفى أثره منذ أسبوع وأنه كان يتوقع منها أن تلحق به إلى ذلك الفندق ، وأنه سعيد جدا بذلك لأن وجودها معه قد أكمل عليه نعمة السرور فى هذه الرحلة الممتعة .

ودهشت مدام مرجى عندما سمعت منه ذلك وأدركت فى الحال أنه أراد تضليلها والهزؤ بها فقالت له :

— إذن أنت تعمدت السفر ، أليس كذلك ؟ ولم تسافر إلا لتستدرجنى وألحق بك ؟

— نعم . ذلك ما أردته فى الواقع .

قال ذلك وانفرجت شفتاه عن ابتسامة صفراء أثارت فى نفس مدام مرجى تلك الرغبة القوية القديمة فى أن تضع حداً لحياة هذا الرجل الجهنمى بإطلاق الرصاص عليه ترديه قتيلا . . فمدت يدها بخفة إلى صدرها حيث كانت تخفى مسدساً ، ولكنه أدرك غايتها فقال لها فى هدوء :

— قبل أن تطلقى على الرصاص أرجو أن تمنحينى دقيقة واحدة أسمعك فيها نص برقية وردت إلي منذ هنيهة .

فنظرت إليه بارتياب . ولكنه أخرج من جيبه ورقة زرقاء وقال:

— هذه البرقية تتعلق بولدك .

— جلبرت ؟

— نعم ، جلبرت .. هاهى البرقية فاقرأيها .

فتناولت منه البرقية بلهفة واضطراب وقرأت فيها هذه الكلمات :

« سينفذ الحكم يوم الثلاثاء » .

فأفلتت منها صيحة ذعر وارتمت على دوبريك وهى تقول :

— كلا .. كلا .. أنت كاذب ، إنك لا تقصد إلى غير الامعان فى

تعذيبي لتنتقم مني . انني أعرفك أيها الوغد ، فانت لاتقف في نذالتك عند حد ، قل الحقيقة ، قل أن التنفيذ لن يكون في يوم الثلاثاء . . لن يكون بعد غد ، قل انه لا يزال امامنا أربعة أو خمسة أيام أخرى

ولم تستطع أن تقول اكثر من ذلك لأن قواها خانتها فارتمت على احد المقاعد .

أما دوبريك فانه ملأ كأساً من الشمبانيا وتجرعه دفعة واحدة وأخذ يسير في الغرفة في هدوء ، ثم أقترب منها فجأة وقال :

ـ أصغي الي يا كلاريس .. أنك لاتفهمينني جيدا . لأنك لاترين الأشياء على وجهها الصحيح . أنك مازلت تؤملين في مساعدة براسفيل الذي كنت ساعده الأيمن . انك تخطئين ياصديقتي كل الخطأ في اعتمادك عليه ، إذا كنت لا تصدقينني فأعلمي ان براسفيل متواطيء هو أيضا في مشروع القنال ، لا أقول مباشرة ، بل بطريق غير مباشر بمعنى أن إسمه الحقيقي لم يدرج في قائمة السبعة والعشرون ، ولكنه سجل تحت إسم أحد أصدقائه وهو النائب ستانسلاس فور انجلاد ، ولم أشأ ان اعكر صفو هذا النائب البائس لأنه رجل معدم ولأن لي غرضا آخر من الاغضاء عنه لقد كنت أجهل في الواقع ان لبراسفيل ضلعا في فضيحة القنال حتى بعث الى فور انجلاند اليوم بوثائق تثبت ادانته لقد تعب هذا التعس على مايظهر من حياة الفاقة التي يجرذيولها فاراد ان يستغل هذه الوثائق في الحصول على بعض الفوائد من براسفيل مقامراً في ذات الوقت بنفسه وقد قصد من ارسالها الى ان يتفاهم معي ولذلك

استطيع ان أؤكد لك ان براسفيل قد انتهى .

استدعى دوبريك بالتليفون رجلا يدعى جاكوب افهم كلاريس أنه احد رجال الأمن سابقا وأنه كان قد كلفه بمراقبتها وتعقبها .

وجاء جاكوب ، فطلب اليه دوبريك ان يسرد على مدام مرجي بايجاز مافعله منذ مساء الاربعاء بعد ركوبها القطار الفاخر ، فاخرج جاكوب من جيبه دفتر مذكرات وقرأ فيه مايلي :

مساء الأربعاء — في الساعة السابعة والربع كنت في محطة ليون انتظر السيدين جروندبار ولوبالو فوصلا وكان معهما شخص ثالث لاريب انه الاستاذ نيكول . وقد استأجرت من أحد الحمالين قبعته وسترته ، وقابلت هؤلاء القادمين وأنبأتهم انني موفد من قبل إحدى السيدات لأقول لهم إنها ذهبت مع مسيو دوبريك الى مونت كارلو .

يوم الخميس — ارتاد هؤلاء الثلاثة جميع الفنادق في البحث عن مدام مرجي فلم يقفوا لها على اثر .

يوم الجمعة — طلب الي مسيو دوبريك ان ابعث بهؤلاء الثلاثة الى إيطاليا ، لذلك طلبت إلى خادم فندق فرانكلين أن يرسل إليهم برقية للسفر الى سان ريمو .

يوم السبت ـ استأجرت وانا في انتظارهم على رصيف محطة سان ريمو قبعة أحد العمال التابعين لفندق السفراء . ولما وصلوا افهمتهم ان إحدى المسافرات وتدعى مدام مرجي قد اوفدتني إليهم لأنبئهم بأنها سافرت إلى (جنوه) وأنها ستنزل في فندق كونتننتال . وقد

تردد الأستاذ نيكول وهم بالنزول من القطار ولكن رفيقيه منعاه وأبقياه معهما . وبعد ذلك بساعة ركبت القطار إلى نيس .

ثم طوى جا كوب دفتر مذكراته وقال :

— هذا كل ما هناك ، أما أعمال اليوم فلن اسجلها إلا في المساء

فقال له دوبريك .

— يمكنك ان تسجلها الآن ، فاكتب :

« أرسلني مسيو دوبريك إلى شركة عربات النوم فحجزت تذكرتين لباريس بقطار الساعة الثانية والدقيقة الأربعين وارسلتهما إلي مسيو دوبريك ، ثم ركبت قطار الساعة الواحدة وذهبت إلى (فنتميل) وهي إحدى المحطات الواقعة على الحدود فقضيت فيها طول النهار اراقب العائدين إلى فرنسا لأتبين إذا كان الأستاذ نيكول وصديقاه قد غادروا إيطاليا ثم امرني مسيو دوبريك ان ابعث ببرقية إلى إدارة البوليس اقول فيها ان ارسين لوبين واثنين من شركائه موجودون بالقطار رقم كذا .. »

وبعد ان انتهى جا كوب من تلاوة تقريره شيعه دوبريك إلى الباب ثم اغلقه واقترب من مدام مرجي وقال لها :

— والآن ، اصغي إلي يا كلاريس .

فصمتت كلاريس ، ولم تبد اية مقاومة .

ماذا كان في وسعها ان تفعل حيال ذلك العدو الجبار العنيد ، ذلك العدو الذي استطاع بمثل هذه السهولة أن يخدع اصدقاءها ويحول

دون وصول أي رد على برقياتها الثلاث التي ارسلتها إلى فندق فرنكلين والذي استطاع ان يعمل على فصلها من اعوانها ، وعلى ان يحيطها بفراغ موحش مخيف حتى استدرجها إلى هذا الفندق بل وإلى هذه الغرفة؟!

قال دوبريك

— انصتي إلي جيدا يا كلاريس ، الساعة الآن الثانية والدقيقة الأربعون وسيقوم الآن آخر قطار يوصلنا إلى باريس غداً صباحاً — الاثنين — وهو آخر موعد استطيع فيه ان انقذ ولدك من الموت فهل اسافر ؟ ..

— نعم

— لقد حجزت تذكرتين بعربة النوم ، فهل ترافقينني ؟

— نعم

— انك تعرفين الشرط الذي اصر على تنفيذه لكي انقذ ولدك ؟

— نعم

— اتقبلين ان تكوني زوجتي ؟

— نعم

وقد اجابت كلاريس على هذه الأسئلة بطريقة آلية . ولم يكن يجول بخاطرها وقتئذ غير امر واحد هو ان يسافر وينقذ ولدها ، وليكن بعد ذلك ما يكون

غير ان دوبريك قهقه وقال :

ـ يالك من خبيثة !! انك الآن على استعداد لأن تجودى بكل شيء لأن المهم عندك الان هو نجاة ولدك . ولكن قبلا بعد ، عندما يتقدم اليك دوبريك السليم النية الطيب القلب بخاتم الخطوبة ، ستديرين له ظهرك ، وتصدينه عنك بلا شفقة . انا لااريد ان اكون ألعوبة ، لاأريد وعودا غير قابلة للوفاء . ولاأقنع بمجرد القول أريد فعلا .. وليكن معجلا . لذلك لن أطلب الافراج عن جلبرت ولا تخفيف الحكم عنه بل ساكتفى بطلب تأجيل التنفيذ لمدة ثلاثة أسابيع أو أربعة . وعندما تصبح مدام مرجى زوجة دوبريك ، عندئذ فقط اطلب تخفيف الحكم ، وكونى على يقين يا كلاريس من أنهم سيجيبوننى إلى ما أطلب .

ـ انى موافقة . انى موافقة .

لم تعد كلاريس تقوى على المقاومة ، فسلمت آخر سلاح فى جعبتها لألد أعدائها . وهم ذلك العدو الوضيع بان يطبع على شفتيها قبلة دنسة من شفتيه القذرتين ، فأغمضت عينيها لـكيلا تصدم برؤية ذلك الوجه الدميم الذى كان يعلو وجهها .

وانقضت بضع ثوان ، ولم يقبلها دوبريك .

ساد فى جو الغرفة صمت رهيب ، ودهشت كلاريس وحسبت أن الرجل قد ارعوى عن غيه فى اللحظة الأخيرة .

بيد أن الواقع كان غير ذلك ، فانها ما كادت تفتح عينيها حتى شهدت منظراً تقشعر له الأبدان ، رأت بدل ذلك الوجه الساخر المتهكم سحنة

منقلبة ثائرة الخدين تبدو عليها علامات الفزع الشديد .

والتفتت كلاريس إلى حيث كان دوبريك ينظر ، فرأت مسدسين مصوبين نحـوه من أعلى المقعد الكبير الذى جلس عليه ، ورأت فى ذات الوقت رجلا يندفع فجأة ويلف أحد ذراعيه حول رقبة دوبريك بقوة وحشية ويضع على وجهه كمامة محشوة قطنا ومشبعة بمادة مخدرة مالبثت رائحتها أن انتشرت فى جو الغرفة .

كان هذا الرجل هو لوبين .

وصاح هذا بصديقيه :

ـ تعال يا جروتيار ! وأنت .. يا لوبالو أوثقا هذا التعس .

، كان رأس دوبريك قد مال تحت تأثير المخدر فسارع اليه جروتيار ولوبالو واوثقاه جيداً بالحبال .

وهنا ابتسمت كلاريس ابتسامة حزينة كانت الأولى منذ شهور

أما لوبين فاخذ يبحث عن صندوق التبغ الذى يستعمله دوبريك وعثر فوق الموقد بعلبة صفراء مغلقة بحزام من الورق المصمغ ففتحها واخرج منها شيئا لامعا .

كان ذلك الشيء هو السدادة البلورية . فافلتت من فم كلاريس صيحة سرور ، ودنت من لوبين وهى تقول له : انها هى ! انها هى ! ..

كانت السدادة مجوفة وبداخل هذا التجويف ورقة ملفوفة على شاكلة كرة صغيرة .

واخرج لوبين الورقة ونشرها بين اصابعه وقرأ فيها سبعة وعشرين إسما كانت من بينها أسماء لاجرو وفور نجلاد وآلبوفكس وليساج وفيكتوريان مرجى . وقد ختمت هذه الأسماء بتوقيع رئيس مجلس إدارة شركة القنال . وهو التوقيع الذى سجله الرجل بدمه عندما إنتحر .

* * *

تناول لوبين وأصحابه الطعام ثم أسرعوا الى العمل ، فقال لوبين لجرونيار :

— عليك يا جرونيار الذهاب الى شارع غابتا فتجد هناك رجلا ينتظر بعربة وحقيبة ابتعناها . فجيء بالحقيبة الى هنا وإذا سألك عنها احد فى الفندق فقل انها السيدة التى تقيم بالغرفة رقم ١٣٠

ثم التفت الى لوبالو وقال .

—وانت يالوبالو . الى الجراج وتسلم السيارة فقد إتفقت على ثمنها وهو عشرة آلاف فرنك ، ولا تنسى ان تشترى قبعة وثوب سائق وجيء بالسيارة الى باب الفندق . » — والنقود ياسيدى الرئيس ؟

فاخرج لوبين محفظة من احد جيوب دوبريك واخذ منها عشرة ورقات من فئة الألف فرنك وقدمها الي لوبالو .

وانصرف جرونيار ولوبالو . وسأل لوبين كلاريس عما إذا كانت لديها حقيبة سفر فأجابت :

— نعم لقد ابتعت حقيبة لدى وصولى الي (نيس)

ـ حسنا . اعدي كل شيء واذهبي الى مدير الفندق وانبأيه بانك

تنتظرين حقيبتك ، وان احد الحمالين سيأتى بها وانك ترغبين فى تنظيمها فى غرفتك ، اخبرى مدير الفندق بأنك سترحلين

وعاد جرونيار يحمل حقيبة كبيرة وضعها فى غرفة كلاريس ثم تعاون لوبين وجرونيار على حمل دوبريك واجلسوه فى تلك الحقيبه واحكموا غطاءها . واقبل لوبالو فى هذه اللحظة يقود السيارة التى ابتاعها لوبين . قال لوبين لشريكيه : يجب ان تتعاونا على نقل الحقيبة لأن من الخطر ان نعهد بها الى خدم الفندق

واغلق لوبين الباب الذى يفصل بين الغرفتين وهبط بالمصعد وقال لأحد موظفى الفندق :

ـ لقد دعى مسيو دوبريك الى مونت كارلو وكلفنى بأن ابلغكم بأنه لن يحضر الى الفندق قبل يومين ، وقد اوصى بحراسة غرفته لأنها تحوى جميع الأوراق المتعلقه بأعماله وها هو مفتاح الغرفة .

ثم انصرف لوبين ولحق بجرونيار ولوبالو وكلاريس وركب معهم السيارة التى كانت فى الأنتظار بالقرب من الفندق

واوقف لوبين السيارة امام احد مكاتب التلغراف ، وارسل البرقية التالية :

« مسيو براسفيل بادارة البوليس بباريس — عثرنا بالشخص ، ساحضر اليك الوثيقه غداً فى الساعة الحادية عشرة صباحاً »

« كلاريس »

وقد تقرر ان يعود جروتيار ولوبالو بالسيارة أما لوبين وكلاريس فقد استقلا قطار الساعة الثالثة. وقصت كلاريس على لوبين ماوقع لها منذ افترقا. وسرد عليها بدوره كيف استطاع الايقاع بدوبريك فى الوقت الذى كان فيه هذا الأخير يعتقد أنه فى جنوه.

فقال: عندما غادرت سان ريمو الى جنوه حدانى شعور غريب الى الاقتراب من النافذة لاراقب الحمال الذى افهمنى انك ذهبت الى جنوه فرأيته يفرك كفيه بارتياح فادركت الحيلة وأدركت ان دوبريك خدعنى كما خدعك. فوثبت من القطار وحذا زميلاى حذوى. وتعقبنا الحمال دون ان يشعر بذلك. وقد أمضى هذه الليلة فى فندق صغير فى نيس وفى الصباح قابل دوبريك فى احدى الحدائق وتحدث معه، ثم عاد دوبريك الى الفندق. اما الحمال وهو جاكوب بعينه فقد اقام فى احد دهاليز الطابق الأول، وصعد دوبريك الى غرفته فاستعلمت عن رقمها وقيل لى انها مجاوره لغرفة سيدة جاءت الى الفندق امس ففهمت فى الحال انها غرفتك، وطرقت بابها ولم اسمع جوابا وكان الباب مغلقا فعالجته بمفتاح مزيف وتسللنا من غرفتك الى غرفة دوبريك من خلال الباب الذى يفصل بينهما. ووقع نظرى فى الحال على علبة التبغ التى وضعها دوبريك على الموقد.

ـ كنت تعلم إذن ان السدادة مخبأة بهذه العلبة؟

ـ عندما فتشت مكتب دوبريك بمنزله لاحظت اختفاء هذه العلبة التى كان يضعها دائما على المكتب، وتذكرت فى تلك اللحظة

كلمة «مارى، مارى» التى رددها دوبريك تحت آلة التعذيب وادركت انها مفتاح اللغز، وقلت لنفسى ان هذه الكلمة هى بداية لعبارة لم تتم وقد عرفت هذه العبارة حالما وقع نظرى على علبة التبغ. ذلك لأن دوبريك يدخن نوعا من التبغ من صنف معروف باسم تبغ (مارى لاند) حل اللغز اذن وعرفت المخبأ، وهو فى الحق مخبأ امين إذ من ذا الذى كان يخطر له ان يفتح هذه العلبة المختومة بورق مصمغ عليه طابع الجمرك.

انه مكان لايمكن الاشتباه فيه ولم يحاول أحد أن يبحث فيه عن السدادة.



وفى الساعة الثامنة صباحا وصل لوبين وكلاريس الى باريس فوجد فى منزله بميدان كليشى برقية من براسفيل مرسلة من ميناء الهافر ومعنونة باسم كلاريس وهذا نصها:

«لا استطيع العودة فى صباح الاثنين، احضرى الى مكتبى فى الساعة الخامسة»

وقبيل الساعة الخامسة كان لوبين وكلاريس فى مكتب المسيو براسفيل فقابلهما السكرتير وادخلهما الى غرفة الاستراحة وطلب اليهما ان ينتظراه.

وفى الساعة الخامسة تماما وصل براسفيل وما ان وقع بصره على كلاريس حتى قال لها:

ـ هل معك القائمة؟ ـ نعم.

ـ على بها .

ومد يده ليتناول القائمة ، ولـكن كلاريس لم تبد حراكا . فنظر اليها برهة مترددا ثم جلس وفـكر وكان موفقا فى تفـكيره ، فكر فى ان كلاريس لم تطارد دوبريك بدافع الرغبة فى الانتقام منه فحسب بل كان لها غرض آخر يغريها بألا تدفع اليه بالقائمة بغير شرط .

قال لها فى غير تردد : صارحينى بما تريدين ياسيدتى العزيزة ، انى لا اخفى عنك اننا جد راغبين فى الاستيلاء على هذه الوثيقة الخطيرة .

ـ إذا كان الحصول على الوثيقة مجرد رغبة فانى اخشى ان لا نتفق

ـ ولـكن هذه الرغبة تدعونا بطبيعة الحال إلى بعض التضحية .

ـ لا . بل إلى جميع التضحيات .

ـ ارجو ان تفصحى .

ـ عفوا ياسيدى ، اننى لا اريد ابهاما ولذلك يجب أن أسالك أولا هل لك حق التصرف فى هذه القضية ؟ .

ـ ماذا تعنين ؟

اريد ان اعرف ، هل انت مطلق اليد فى التصرف فى هذه القضية .

ـ نعم .

ـ وهل ستكون اجابتك هى اجابة الحكومة ؟ ـ نعم .

ـ اذن بقى ان اطلب اليك امرا واحدا . وهو أن تقسم بشرفك مهما كان طلبى غامضا ، أن لا تسألنى عن الدافع اليه .

ـ اقسم بشرفى .

ـ إذن فاعلم انى على استعداد لأن أقدم إليك القائمة مقابل تخفيف الحكم على جلبرت وفوشيرى.

فقفز براسفيل من مكانه فى دهشة وهتف :

ـ ماذا تقولين ؟ تخفيف الحكم عن جلبرت وفوشيرى شريكى أرسين لوبين ؟! .

ـ نعم .

ـ جلبرت وفوشيرى اللذان قتلا الخادم ليونارد فى فيلا مارى تيريز؟! .

ـ نعم ، فأنا أطلب تخفيف الحكم عنهما .. بل ألح فى ذلك

ـ ولـكن .. هذا مستحيل .. لقد تقرر إعدامهما غدا .. ولا مناص من إنفاذ الحـكم .

ـ ان من الميسور تخفيف الحـكم واستبدال عقوبة الاعـدام بالسجن .

ـ مستحيل .. لقد اثار الحادث وأثارت القضية ضجة عظيمة فهما شريكا ارسين لوبين ، ورأى القضاء فيهما معروف ، كلا ، كلا ليس فى استطاعتنا تعديل احكام القضاء .

ـ نحن لا نطلب إلا تخفيف الحكم فقط ، وهو طلب مشروع

ـ لقد قررت لجنة الرأفة رفض طلب الاسترحام .

ـ بقى رأى رئيس الجمهورية . ـ لقد رفض هو ايضا .

ـ يستطيع أن يرجع عن رفضه . ـ مستحيل .

— لماذا ؟ — ليس هناك مبرر لذلك

— لا حاجة برئيس الجمهورية إلى مبررات ، ان المفروض لرئيس الجمهورية يستخدمه فى خير وجه يراه لصالح العام .

— ولكن هذا جنون ، ان هناك عقبات كثيرة لا يمكن اجتيازها ، لا ، لا مستحيل ، مستحيل .

— معنى ذلك انك ترفض اجابة طلبي — نعم أرفض .

— إذن لم يبق إلا ان تفعل ما نراه فى مصلحتنا ، وهذا الرفض يطلق ايدينا

ثم قصدت إلى الباب يتبعها الأستاذ نيكول ، ولكن براسفيل ما لبث ان وقف فى طريقها وقال :

— إلى اين تذهبين ؟

— اعتقد ياعزيزى انه لم يعد لدى الآن ما اقوله ، ومادمت ترى ، او بالأحرى ما دمت واثقا من ان رئيس الجمهورية سيرى ان هذه القائمة الشهيرة لا تساوى شيئا .

فقاطعها بقوله : صبراً

واغلق الباب بالمفتاح وبدا يسير فى الغرفة جيئة وذهابا ، ورأسه منحن فوق صدره ، واخيرا دخل غرفة سكرتيره الخاص وقال له بصوت مسموع :

— مسيو لارنج ، ارجو ان تتصل تليفونيا بدار رياسة الجمهورية وان تطلب لى موعدا عاجلا لمقابلة رئيس الجمهورية والتحدث فى

شان خطير .

ثم قال لكلاريس :

— اعتقد الآن ان فى وسعنا ان نتفاهم ولكن قبل كل شيء أود أن أسألك بعض الايضاحات فاين وجدت القائمة ؟

— فى السدادة البللورية كما كنا نتوقع .

— واين وجدت السدادة البللورية ؟

— فى علبة تبغ كانت علي مكتب مسيو دوبريك .

فقال براسفيل لنفسه فى أسف : ياللشيطان ! لقد لمست بيدى هذه العلبة اكثر من عشرين مرة !

— هل استطيع ان أرى هذه القائمة .

فترددت كلاريس ولكنه قال لها : اطمئنى فهذه القائمة ملك لك وسأردها اليك لكن يجب ان تعلمى اننى لا استطيع الشروع فى اى عمل قبل ان اتأكد من وجود القائمة الحقيقية :

فنظرت كلاريس الي مسيو نيكول نظرة استفهام لم تفت براسفيل ملاحظتها ثم قالت : « ها هى »

وجعل براسفيل يفحص الوثيقة بدقة وامعان قائلا :

— نعم .. نعم .. هذا امضاء امين صندوق الشركة .. انني اعرفه . وهذا إمضاء رئيس مجلس ادارة الشركة .. الامضاء الأحمر المسجل بالدم .. لم يبق علينا إلا ان نتحقق من نوع هذه الورقة

ووضع الوثيقة الشهيرة فى الضوء على احد الواح النافذة الزجاجية

واخذ يفحصها بواسطة عدسة مكبرة

وقضى براسفيل بضع دقائق فى فحص ورق الوثيقة . ولما حزم رأيه على أمر نادى سكرتيره . وقال له :

ـ ابلغ دار الرئاسة انى اعتذر عن المقابلة لأسباب هامة سأشرحها والغ الموعد الذى تم الاتفاق عليه.

فحدجته كلاريس ولوبين بنظرة تنم عن الدهشة والذهول ولم يفهما سر هذا الانقلاب الفجائى ، وخطر لكلاريس اول الأمر انه اطمأن الى وجود الوثيقة بين يديه فنكث عهده . بيد أن براسفيل ما لبث ان قدم اليها القائمة وهو يقول: تستطيعين ان تحتفظى بها

فهتفت : احتفظ بها !

ـ نعم ، ويمكنك أيضا أن تعيدها إلى دوبريك . المهم إلا إذا كنت تؤثرين احراقها.

ـ ماذا تقول !؟ ـ اقول لو كنت فى موضعك لأتلفتها .

ـ ولكن لماذا ؟

ـ لماذا ! لماذا !. سأوضح لك الأمر. ان الاسماء السبعة والعشرين مسجلة ـ كما ثبت لنا بالدلائل القاطعة ـ على ورقة مما كان يستعمله مدير شركة القنال فى خطاباته الخاصة ، ولدى هنا نماذج من هذا الورق والواقع ان جميع الورق الذى كان يستعمله مدير الشركه يحمل علامة مائية هى علامة المصنع التجارية وهذه العلامة هى صليب صغير تحيط به دائرة والصليب والدائرة لايمكن رؤيتهما بالعين المجردة .. بل لابد

من الاستعانة بعدسة او منظار مكبر لرؤيتهما .

ثم قدم اليها نماذج من الورق الذى اشار اليه وقال :

ـ وفى استطاعتك ان تتحقق بنفسك الآن من ان هذه الوثيقة لاتحمل علامة مصنع الورق .

وهنا عرت لوبين قشعريرة شديدة ولم يجرؤ على النظر الى وجه كلاريس . سمعها تقول لبراسفيل :

ـ اذن فقد خدع دوبريك ؟

ـ كلا . انه لم يخدع . ولكنك انت التى خدعت يا عزيزتى . لأن دوبريك لايزال يحتفظ بالقائمة التى سرقها من الخزانة الحديدية

ـ وهذه القائمة !؟

ـ مزورة .. ولا بد ان دوبريك لجأ إلى هذه الحيلة ليصرف الانظار عن القائمة الحقيقية ـ اذن .. انت ترفض .

ـ طبعا . فهذه القصاصة لاقيمة لها .

ـ اذن لا تريد .. لاتريد .. يا إلهى ! .. وغدا صباحاً .. بعد بضع ساعات .. جلبرت ؟

واستحال يأسها فجأة الى قوة جنونية فامسكت بساعده بعنف وصاحت : بل يجب ان تذهب الى الموعد . اذهب وأنقذ جلبرت . يجب ان تنقذه . انه ولدى ! . ولدى ! . هل سمعت ؟ انه ولدى .

وهنا أفلتت من براسفيل صيحة ذعر .

ذلك انه رأى خنجراً يتألق فى يد كلاريس ، ولكن مسيو

نيكول أسرع اليها وامسك بذراعها وانتزع الخنجر من يدها وهو يقول :

ـ لماذا تقدمين على هذه الحماقة . ألم اقسم لك ان ولدك سينجو ، يجب ان تعيشى من اجله ، انه لن يموت .

وتأبط ساعدها وسار بها نحو الباب . وهنا تحول لوبين الى براسفيل وقال له بلهجة الآمر :

ـ انتظرنى يامسيو براسفيل فسأعود اليك بعد ساعة أو ساعتين وسنتحدث مليا .

« . »

وما ان توارايا عن نظر براسفيل حتى اخذ يفكر فيمن عساه يكون الاستاذ نيكول ، هذا المخلوق الغريب الذى يبدو عليه كأنه تريد أن يسيطر على الموقف .

وخطر له انه ربما كان لوبين ولكنه لم يجد أى شبه بين مسيو نيكول وبين ارسين لوبين لافى قامته ، ولا فى بدانته ، ولا فى ملامح وجهه ، ولا فى فمه وانفه ونظراته . ولم يكن مسيو نيكول يشبه اية صورة من صور لوبين الفوتوغرافية المحفوظة عند براسفيل . بيد انه تذكر فجأة ان سر قوة لوبين هو نبوغه الهائل فى تنكره وتغيير ملامحه .

خرج فى الحال من مكتبه ونادى احد مفتشي البوليس وقال له :

ـ هل رأيت الرجل والسيدة اللذين خرجا من هنا الآن ؟

ـ نعم . انهما خرجا منذ بضع دقائق .

ـ هل تذكر شكل هذا الرجل ؟ ـ اعتقد ذلك

ـ اذن لاتضع دقيقة واحدة ، خذ معك ستة من رجال البوليس واذهبوا توا الى ميدان كليشي . راقبوا هناك منزل الاستاذ نيكول فلا بد انه قصد اليه ومتى عثرتم به فالقوا القبض عليه . وهاك أمر القبض .

والقى مفتش البوليس نظرة على امر القبض واستولت عليه الدهشة .

قال : انك حدثتني ياسيدى عن استاذ يدعى نيكول ، وهذا امر بالقبض على ارسين لوبين !

ـ نعم . ان ارسين لوبين والاستاذ نيكول هما شخص واحد .

الفصل السادس

المقصلة

اشتدت الجلبة حول السجن فى تلك الليلة ، ورابطت قوات البوليس حول جميع الشوارع المودية الى ساحة الاعدام وكان المطر غزيرا فلم يكن ينتظر لذلك ان يكون عدد النظارة كبيرا ، وكانت الأوامر قد صدرت بغلق جميع المحال والمقاهى واعدت كتيبة احتياطى للطوارىء .

واقيمت المقصله فى وسط الساحة .

وحول الساعة الرابعة بدأت الجماهير تحتشد بالرغم من الأمطار

العزيرة . ولما لاحت طلائع الفجر فى الأفق وسكن المطر اقبل
براسفيل مع النائب العام وكان هذا الأخير يشعر بشىء من القلق فقال
له براسفيل بلهجة حازمة :

ـ اؤكد لك انه لن يقع أى حادث سيا وان لوبين فى قبضتنا الآن

ـ كيف ، اهـذا ممكن !

ـ نعم لقد عرفنا مقره .. انه يقيم بمسكن فى ميدان كليشى وقد
حاصرنا بيته امس . ثم انى اعرف الخطة التى دبرها لانقاذ شريكيه ،
وقد فشلت هذه الخطة فى اللحظة الأخيرة .. ليس هناك اذن ما نخشاه
فلتأخذ العدالة مجراها .

وأزفت الساعة الرهيبة ، وجىء بفوشيرى من سجنه .

وكان اول سؤال القاه على مدير السجن حين أنبأه بالغرض من قدومه
أنه قال :

ـ هل ينال جلبرت مثل جزائى ؟.

ولما علم بان زميله جلبرت سيذهب معه إلى المقصلة تردد لحظة كأنما
كان يريد ان يقول شيئاً لكنه عاد فهز كتفيه وتمتم قائلا :

ـ هذا أفضل .. لقد ارتكبنا الجريمة سويا فلنجن ثمارها سويا .

أما جلبرت فلم تكتحل عيناه بالنوم .

ولما أنبأه بان الساعة قد دنت . صرخ قائلا :

ـ أننى لم أقتل ، لاأريد أن أموت . أننى لم أقتل .

وغادر الجميع السجن إلى ساحة التنفيذ .

كانت مرحلة طويلة مؤلمة !.

ورأى فوشيرى المقصلة فتراجع مذعورا !.

أما جلبرت فكان ذليلا مطرقا براسه إلى الأرض ، وكان ضعيفا
لايقوى على السير ، فكان يساعده احد الجنود واحد القسس .

وأومأ الجلاد إلى اعوانه فامسكوا بفوشيرى وحملوه ووضعوه
بسرعة هائلة على درج المقصلة .

وفى هذه اللحظة وقع حادث غريب لم يكن فى الحسبان فقد دوى
فى الجو صوت طلق نارى كان مصدره احد المنازل المطلة على ساحة الاعدام،

ـ ووقف رجال البوليس تجاهه .

وهوى فوشيرى من بين ايديهم إلى الأرض فاقد الرشد ، وسال
الدم من جبهته غزيرا .

وساد الهرج والمرج وعم الاضطراب .

وحمل الجند جثة فوشيرى وابتعدوا بها ، وقال الجلاد بصوت اجش
والشرر يتطاير من عينيه :

ـ هلموا ، اسرعوا ، إلى بالآخر !

ودوى فى ذات اللحظة طلق آخر فدار الجلاد حول نفسه وسقط
على الأرض ، وقال وهو يئن :

ـ لاشىء .. لاشىء .. جرح بسيط فى الكتف .. استمروا ..
إلى بالآخر .

ولكن الفزع كان قد دب فى قلوب الحراس ورجال البوليس فلاذ

بعضهم بالفرار ، ودب الفزع بين النظارة فتزاحموا كالبحر الزاخر واعيد جلبرت إلى السجن واسرعت ثلة من الجنود إلى البيت الذى صدرت منه الأعيرة النارية وفتشوه تفتيشا دقيقا ، ولكنهم لم يقعوا فيه على اثر لانسان .

كانت لحظة الفزع والذعر التى اعقبت هذا الحادث المفاجىء كافية لتمكن الفاعل من الهرب .

قال براسفيل : لابد انه هرب بالقفز على سطوح المنازل .

فسأله النائب العام : — اتعتقد ان لوبين هو الذى فعل ذلك ؟

— الواقع ان ارسين لوبين هو الشخص الوحيد الذى يستطيع ان يقوم بهذا العمل الجرىء ، لابد انه استطاع التخلص من رجالي .

وقصد براسفيل توا إلى مكتبه وهو يتميز غيظا ، ولما استقر فى مقعده حمل اليه الخادم بطاقة زيارة لم يكد يلقى بصره عليها حتى وثب من مقعده .. كان مكتوبا على البطاقة :

الاستاذ نيكول
ليسانسيه فى الآداب

الفصل السابع — السر فى العين

دعا براسفيل سكرتيره وقال له :

ساستقبل الآن يامسيو لارنج رجلا خطرا للغاية ، واغلب ظنى انه لن يخرج من هنا الامكبلا بالأغلال فارجو حالما يدخل ان تتخذ جميع الاجراءات اللازمة لذلك وان تضع ثلة من رجال البوليس فى مكتبك

وفى غرفة الاستراحة ومتى دققت دقه واحدة فاقتحموا غرفتى و مسدساتكم فى ايديكم .

— حسنا ياسيدى .

ثم التفت إلى الخادم وقال له : والآن دع مسيو نيكول يدخل .

وأسرع براسفيل وأخفى زر الجرس الكهربائي الموضوع فوق مكتبه ووضع مسدسين خلف مجموعه من الكتب ، وقال لنفسه :

— لنلعب بحذر ، فاذا كانت القائمة معه أخذتها منه ، وإذا لم تكن معه قبضت عليه ، وإذا لم أمكن فلنستول على القائمة ولنقبض عليه فى وقت واحد ، وبذلك نضرب عصفورين بحجر .

ودخل الأستاذ نيكول وهو يمشي مشية المتردد وجلس فى خجل على حافة المقعد الذى طلب اليه براسفيل أن يجلس عليه وقال :

— لقد جئت .. لأستأنف .. محادثتنا .. التى .. بدأناها أمس . ارجو المعذرة عن تأخيرى ياسيدى .

— خيل إلي عندما غادرت مكتبى امس انه كان فى نيتك ان تنتزع من دوبريك سره مهما كلفك الأمر .

— هذا صحيح ، ولكن دوبريك لم يكن فى باريس .

— اين كان إذن ؟

— كنت قد بعثت به إلى نزهة بالسيارة .

— هل عندك سيارة يامسيو نيكول ..

— نعم ، سيارة عتيقة ، من طراز قديم . كان دوبريك يتنزه فى

السيارة أو على الأصح ، على ظهر السيارة بداخل الحقيبة التي حبسته فيها .. ولكن السيارة تعطلت في الطريق واستحال وصولها قبل تنفيذ الحكم .

— وماذا فعلت إذن ؟

— بحثت عن وسيلة أخرى — أية وسيلة ؟

— كأني بك تجهل هذه الوسيلة يا سيدي السكرتير .. انك تعرفها أكثر مني .. ألم تكن حاضرا وقت تنفيذ الحكم ؟ — نعم

— إذن أرأيت فوشيري والجلاد وقد اصيب أحدهما باصابة قاتلة وأصيب الآخر بجرح طفيف .. وينبغي لك أن تفكر ..

— آه ! .. أتعترف إذن بانك أنت الذي اطلقت الرصاص ؟!

— يا سيدي السكرتير . أرجو ان تفكر قليلا .. هل كان في مقدوري ان افعل ذلك .. انك فحصت قائمة السبعة والعشرين وقررت انها مزورة اما دوبريك الذي كانت عنده القائمة الأصلية فلم يكن ينتظر حضوره إلا بعد تنفيذ الحكم بساعات . فلم يكن أمامي والحالة هذه إلا ان ارجىء تنفيذ الاعدام بضع ساعات بأية وسيلة ، أليس كذلك ؟ . فلما قتلت ذلك الوغد الدنيء والمجرم العنيد الذي كان يدعى فوشيري وجرحت الجلاد نشرت الفزع والقيت الاضطراب اختل النظام واضحى تنفيذ الحكم في جلبرت مستحيلا ماديا ومعنويا وبذلك ربحت بضع الساعات التي انا محتاج إليها .

— ولكني اعتقد يا استاذ نيكول ان الحادث الذي وقع لا يمكن

ان يؤجل التنفيذ إلا يوما او اثنين . اما إذا كان الغرض هو الحصول على العفو فذلك يحتاج ..

— إلى القائمة الحقيقية .. أليس كذلك ؟

— طبعا وهي ليست معك فيما اظن .

— بل انها معي — القائمة الأصلية ؟

— القائمة الأصلية .

— وعليها علامة مصنع الورق ؟ صليب داخل دائرة ؟

— وعليها علامة مصنع الورق .. صليب داخل دائرة

فصمت براسفيل واستولى عليه الاضطراب إذ شعر بأن النزاع سيبدأ بينه وبين هذا العدو العنيد ، وكان يرتعد كلما فكر في ان ارسين لوبين .. ارسين لوبين الهائل هو هذا الرجل الماثل امامه ، ذلك الرجل الهادىء الوادع المستسلم الذي يعمل على تحقيق غرضه برباطة جأش توجب الدهشة كما لو كانت بين يديه جميع الأسلحة وامامه خصم أعزل من كل سلاح ... سأله :

— إذن فقد قدم إليك دوبريك الوثيقة ؟

— ان دوبريك لا يقدم شيئا . إنني اخذتها منه .

فعندما اخرجته من الحقيبة التي قضى فيها رحلة موفقة كان غذاؤه خلالها بضع قطرات من المخدر . كنت قد اعددت كل شيء بحيث لا نلجأ إلى وسائل تعذيب لا طائل تحتها لأنني صممت على ان يتكلم دوبريك او يموت . لذلك جهزنا إبرة طويلة تثبت في صدر دوبريك

في موضع القلب .. وتركت لدام مرجي أن تقوم بالمهمة المطلوبة .
وكنت واثق من انها ستؤديها على الوجه الأكمل لأنها ام موتورة .
ام كان ولدها على وشك ان يموت بجريرة دوبريك .

قالت له : « تكلم يادوبريك وإلا فأني اغرز الابرة في قلبك .
الا تريد ان تتكلم ! إذن فاني اغرزها مليمترا .. ثم .. مليمترا
آخر .. ووضعت إصبعها على صدره في موضع القلب وقالت لي :
(انظر إلى عينيه .. انظر إلى عينيه .. إنني لا اراهما تحت منظاره ..
وقد نفهم منهما ما لا يستطيع او مالايريد ان ينطق به) .

فاجبتها : وانا ايضا اريد ان ارى هاتين العينين اللتين تحجبهما
عويناته السوداء واريد ان اقرأ فيهما سره العظيم . قبل ان اسمعه منه

انتزعت العوينات السوداء . وخطر لي فجأة خاطر عجيب فضحكت
وضحكت ملء شدقي ، وهجمت عليه في الحال ففقأت عينه اليسرى
باصبعي .

قال لوبين ذلك واغرق في الضحك حتى كاد ينخلع فكاه .

استطرد اخيرا :

— لماذا تكون لدوبريك عينان ؟ عين واحد تكفيه . . قلت
لكلاريس : انظري ، ها هي عين دوبريك تتدحرج على الأرض !

ونهض الأستاذ نيكول من مكانه وأخذ يسير في الغرفة جيئة
وذهابا ، ثم عاد فجلس واخرج من جيبه شيئا جعل يدحرجه في
كفه ثم يقذف به في الهواء كأنه كرة وعاد اخيرا فوضعه في جيبه

وقال بيرود : هذه عين دوبريك اليسرى .

فذعر براسفيل وامتقع لونه وغمغم :

— لا أفهم ماتعني .. اوضح .. اوضح قليلا !

— انني فكرت في نظرية معقولة : وهي انه ما دام لم يعثر بالقائمة
في اي مكان خارج عن جسم دوبريك فمعنى ذلك انه لايمكن يعثر بها
بعيدا عن ذلك الجسم . وبما انه لم يعثر بها فيما يرتديه من ملابس
فمعنى ذلك انها مخبأة في مكان اعظم عمقا من ذلك أيضا .. في لحمه ..
او في جلده ..

قال براسفيل مازحا : او في عينه مثلا .

— في عينه ، نعم ياسيدي السكرتير لقد قلت الحقيقة .

— ماذا في عينه حقا !؟

— نعم ياسيدي ، انها كانت في عينه ، وتلك حقيقة منطقية كان
يجب ان افكر فيها بدلا من ان تنكشف لي عن طريق المصادفة، فحين
علم دوبريك ان كلاريس مرجي ضبطت خطابا منه كان يوصي فيه
احد اصحاب المصانع الانجليزية بتجويف البلورة من الداخل بحيث
يترك فيها (فراغ غير ملحوظ) شعر بضرورة البحث عن وسيلة
لتضليلها ، فاوصى بصنع سدادة بلورية مجوفة من الداخل .

وهذه السدادة البلورية هي التي نسعى وراءها انا وانت منذ
اشهر ، وهي التي عثرت بها في علبة التبغ .. بينما كان يجب ..

— بينما كان يجب ماذا ..

فانفجر الاستاذ نيكول ضاحكا وقال :

— بينما كان يجب فى هدوء وبساطه ان ابحث عنها فى عين دو بريك ، فى هذه العين المفرغة من الداخل على شكل (مخبأ غير ملحوظ)

وعاد مسيو نيكول فاخرج العين من جيبه وضرب بها الطاولة مرارا ، فهتف براسفيل : عين من زجاج . عين اصطناعية ؟!

فقهقه نيكول وقال : — نعم عين من زجاج ، عين اصطناعية جوفاء ادخلها المغفل فى محجر العين بدلا من عين فاقدة لم يفطن اليها احد تحت عويناته السميكة السوداء . . وهذه العين البلورية او إذا شئت ، مجها (سدادة بلورية) كانت ولا تزال تحتوى القائمة الثمينة التى كان دو بريك يستعين بها فى توطيد مركزه وفى قضاء شهوة التسلط.

واحنى براسفيل راسه واعتمد جبينه باحدى يديه ليخفى احمرار وجهه . كانت قائمة السبعة والعشرين فى متناول يده . كانت امامه ، على مكتبه ، وكان فى وسعه ان يلقى القبض على الاستاذ نيكول .

قال بصوت مرتجف .

— الا تزال القائمة فى هذه العين البلورية — اظن ذلك

— كيف . تظن ذلك .

— الواقع اننى لم افتش العين بل رايت ان اترك هذا الشرف لسيدى السكرتير .

ومد براسفيل يده وتناول العين الزجاجية وراح يفحصها بامعان. كانت قطعة من البلور مصنوعة على شكل العين تماما ؛ ولما نظر

إلى باطنها الفاهـا مجوفة ورأى فى داخلها كرة صغيرة من الورق ، فانتزعها ونشرها ؛ وقبل ان يقرأ فيهـا اى اسم او يفحص الخطاو الامضاء رفع ذراعيه وثبت الورقة فى الضوء على احد الألواح الزجاجية بالنافذة فرأى فيها علامات المصنع . علامة الصليب محبط بدائرة .

قال: ان العلامة موجودة وهذه إذن هى القائمة الأصلية.

وتردد لحظة ثم طوى القائمة واعادها الى مكانهـا من العين ودسها فى جيبه ساله الأستاذ نيكول : — هل اقتنعت الآ ن .

— كل الاقتناع .

قال الأستاذ نيكول : « ما دمنا قد اتفقنا يا سيدى السكرتير فانى أرى من المناسب أن تبدأ الآن سعيك للعفو عن جلبرت . هـل تقرر أن يكون التنفيذ غدا ؟ — نعم .

— إذن فانى سأنتظر هنا .

— ماذا تنتظر ؟ — أنتظر رد رئاسة الجمهورية .

فهز براسفيل رأسه وقال: لا تعتمد على يا استاذ نيكول انى أرى بعد حادث ساحة الاعدام انه من المستحيل على ان اقوم باى سعى لدى رئيس الجمهورية لمصلحة جلبرت .

— على رسلك إذن يا سيدى ، وبما ان الاتفاق الذى كان مبرما بيننا قد تمزق فأرجو ان ترد إلى قائمة السبعة والعشرين .

— كلا .

— يا للشيطان ... يخيل إلى يا سيدى انك ضعيف الذاكرة .

فهل نسيت وعدك لى ؟!

— حسنا .. انى وعدت الأستاذ نيكول . — هذا صحيح .

— ولكنك لست الأستاذ نيكول

— احقا ما تقول ؟ ومن اكون إذن ؟

— انك تعرف نفسك اكثر منى ؟

فانفجر الأستاذ ضاحكا إذ ادرك بذكائه السر الجديد الغريب الذى اخذت تتجه فيه المناقشة . اما براسفيل فقد ساوره القلق من ضحكة غريمه فأمسك بمقبض مسدسه وسأل نفسه عما إذا كان الوقت مناسبا للاستغاثة ؟

واقترب الأستاذ نيكول بمقعده من المكتب واتكأ عليه بمرفقيه وحملق فى وجه محدثه ثم قهقه ضاحكا مرة اخرى وقال متهكما :

— إذن فانت تعرف من انا ؟ وتجرؤ مع ذلك على ان تلعب معى مثل هذا الدور ؟! — نعم

— اتحسب إذن ان ارسين لوبين — وذلك هو اسمى الحقيقى — من السذاجة والغباوة بحيث يسلم نفسه إليك موثوق اليدين والقدمين ؟!

فقال براسفيل مازحا وهو يضع يده على جيبه :

— لست ارى ماذا فى وسعك ان تصنع الآن يا استاذ نيكول ، ان عين دوبريك معى فى جيبى ، وفى عين دوبريك قائمة السبعة والعشرين

فهز نيكول كتفه ونظر إلى براسفيل مشفقا ثم قال له :

— اتريد ان تعرف ما استطيع ان اصنع ؟ إذن فاعلم ان قصة

فضيحة القنال ، ستطيح برأسك كذلك . وإذا اردت ان تتحقق من ذلك بنفسك فارجو ان تلقى نظرة على قائمة السبعة والعشرين التى فى جيبك الآن وان تقرأ فيها اسم الشخص الثالث

— آه . ومن هو هذا الشخص الثالث ؟

— انه احد اصدقائك

— من ! — النائب السابق ستانسلاس فور انجلاد

فقال براسفيل وقد بدات ثقته بنفسه تتزعزع — وبعد

— وبعد سل نفسك عما إذا كان عمل تحقيق سطحى لا يثبت إدانة الشخص الذى كان يشاطر ذلك النائب بعض الأرباح

— ومن هو ذلك الشخص ؟

— لويس براسفيل . السكرتير العام لادارة البوليس

— ماذا تهذى يا هذا ؟

— ان كلامى ابعد ما يكون عن الهذيان . انك اذا كنت قد استطعت ان تميط اللثام عنى فان قناعك سينحسر عن وجهك عاجلا .

ثم القى يده على كتف براسفيل . واستطرد بلهجة رزينة :

— إذا كنت خلال ساعة لا تعود من دار رياسة الجمهورية حاملا بضعة سطور تؤكد لى ان العفو قد تقرر ، وإذا كنت خلال ساعة وعشر دقائق لا اخرج من هنا حرا ، سليما معافى ، فان اربع صحف باريسية كبرى ستنشر هذا المساء اربع رسائل مختارة مما تبودل بينك وبين ستانسلاس فور انجلاد ، وهذه

الرسائل قد ابتعتها منه هذا الصباح ، وهي رسائل تثبت بصفة قاطعة انك تواريت خلفه في فضيحة شركة القنال ، وانك لست اطهر من غيرك ممن سجلت اسماؤهم في القائمة التي بجيبك

فصمت براسفيل ، وقد شعر فجأة شعوراً عميقاً بقوة خصمه ، فلم يجسر حتى على الادعاء بأن فورانجلاد قد مزق هذه الرسائل — كما كان يعتقد — أوعلى الأقل بأن ستانسيلاس لم يجرؤ على إذاعتها أو تسليمها لأى إنسان لأنه بذلك يغامر بنفسه ضمنا .

نعم . . لزم الرجل الصمت ، وشعر بانه أخذ في فخ لا سبيل الى الخلاص منه إلا بالاذعان . واستطرد لوبين :

ـ بعد ساعة إذن . . هل انتظر هنا . ـ انتظرنى .

ثم استدرك قائلا : وهل ترد إلى هذه الرسائل مقابل العفو عن جلبرت

ـ كلا . ـ كيف . . إذن لا فائدة .

ـ سترد اليك الرسائل كاملة بعد انقضاء شهرين من صدور امر العفو . . اى عند ما تتمكن بمساعدتك من تسهيل سبل الفرار لجلبرت . صبرا ، هناك شيء آخر ، هو ان تكتب في التو واللحظة تحويلا ماليا بمبلغ مائة الف فرنك يصرف لحامله . مائة الف فرنك !!

ـ نعم وهو الثمن الذى دفعته لفورانجلاد ثمنا لهذه الرسائل .

ـ أهذا كل شيء ! ـ نعم .

وهنا قصد براسفيل الى غرفة سكرتيره وهمس في اذنه .

ـ سرح رجالك يا مسيو لارنج ، فقد وقع خطأ .

وتناول قبعته ومعطفه وعصاه وانصرف .

ولما عاد براسفيل من دار الرياسة ، ألفى لوبين نائما فهزه فاستيقظ وسأل : هل صدر القرار ؟

ـ انه يوقع الآن ، وهاهو الوعد الكتابي .

ـ والمائة الف فرنك ؟ ـ ها هو التحويل المالى .

ـ لم يبق إلا ان اشكرك ياسيدى .. إذا احتجت إلى في اى أمر فما عليك إلا أن تكتب سطراً واحدا في جريدة الجورنال تقول فيه :

« تحياتى اليك يا استاذ نيكول »

وانصرف لوبين وهو يمشى مشية الرجل الواثق بنفسه ، وماكاد يتوارى عن أعين براسفيل حتى تنهد هذا بارتياح كأن كابوسا ثقيلا ازيح عن صدره .

وما هى إلا لحظة حتى دخل الخادم حاملا اليه بطاقة دوبريك .

ولم ينتظر دوبريك الاذن له بالدخول ، بل اندفع نحو براسفيل كمجنون هارب من مستشفى المجاذيب . وكان مضطرب الثياب معصوب العين اليسرى فامسك بساعد براسفيل بقوة وصاح :

ـ هل القائمة عندك ؟ ـ نعم . ـ هل اشتريتها ؟ ـ نعم .

ـ مقابل العفو عن جلبرت . ـ نعم

فثار دوبريك واحتدم وصاح ببراسفيل قائلا :

ـ ايها المغفل ! .. ايها المغفل ! .. انك اذعنت للوبين لأنك تحقد علي ، أليس كذلك ؟ والآن ، هل ستنتقم منى ؟!

- ان ذلك يسرني طبعا .. أفلا تذكر صديقتي راقصة الأوبرا التي قتلتها ! .. لقد جاء دورك الآن لترقص ياعزيزي دوبريك ! ..

- هل أسجن ؟

- لا ضرورة لذلك ، لقد حرمت من القائمة ، وغدوت شخصا لا قيمة له ، وسوف تتدهور من تلقاء نفسك وساشهد انحلالك بعيني وحسبي ذلك انتقاما .

وهل تظن انى ارضي بان اذبح هكذا كالدجاجة دون ان ادافع عن نفسي ؟ أو تظن انى فقدت مخالبي واسنانى ؟ الا فاعلم أنى إذا تدهورت إلى الحضيض فهناك شخص آخر سيتدهور معى ، وهذا الشخص هو السيد براسفيل ، شريك ستانسلاس فور الجلاد ، الذى سيقدم إلي جميع الوثائق التى تثبت إدانتك ، وتكفل ارسالك إلى السجن ، آه ! انك لاتزال فى قبضة يدى ، ماذا ؟ أتضحك ! .. أتعتقد ان هذه الوثائق لا وجود لها ؟

فهز براسفيل كتفيه وقال : بل هذه الرسائل موجودة ، ولكنها خرجت من يد فور الجلاد .

- متى !

- هذا الصباح ، لقد باعها فور الجلاد منذ ساعتين مقابل مائة الف فرنك ، ثم اخذتها انا من المشترى بنفس الثمن .

وفى صباح اليوم التالى وجد دوبريك منتحرا فى غرفة مكتبه بمنزله بميدان « لامارتين » وبعد اسبوع كان جلبرت فى طريقه إلى امريكا

« تمت »

دار النصر للطباعة والنشر والاعلان